مخطوطات البحر الميت: نظرة فوقية طائرة

مقدمة

نصوص مخطوطة قديمة وجدت فى كهوف برارى الأردن غرب البحر الميت لعل أشهرها (والتى استمدت اسم مخطوطات البحر الميت منها) هى بقايا ٨٠٠ مخطوط عبرى وآرامى ويونانى وجدت فى ١١ كهفًا تقع بالقرب من موقع يسمى قمران فى جنوبى الأردن ويعتقد أن مخطوطات قمران (لفافات بمعنى أدق) كانت تشكل مكتبة لمجتمع يهودى هو جزء من جماعة الإسينيين والذين عاشوا فى المنطقة بين سنة ١٥٠ ق.م. و٧٠ م. هذه المخطوطات تتضمن أقدم نسخ من كل الكتب العبرية المقدسة. وهناك قطع مخطوطة وأسفار أبوكريفا (١٤ سفرًا من أسفار اليهود المعترض عليها من قبل الكنيسة)، وأسفار موسى الخمسة بلغاتها الأصلية وحشد من الوثائق التى تعبر فيها جماعة الإسينيين عن آرائها ووجهة نظرها فى اليهود التى انشقت عنهم الجماعة. هذه النصوص لها قيمة علمية كبرى لأنها تقدم نظرة أولية وفكرة غير مسبوقة عن أحد المجتمعات اليهودية فى تلك الحقبة الحساسة، وتوضح آراء الجماعات اليهودية المنشقة وتعبر عن العقيدة المسيحية الباكرة وممارساتها الدينية الأولى. وفى مواقع أخرى من برارى الأردن عثر المنقبون على وثائق من الفترة الأولى (٦٦-٧٣م) والفترة الثانية (١٣٢-١٣٥) لثورات اليهود ضد الرومان إلى جانب نصوص من فترات مختلفة. ويرى بعض الثقاة أن مصطلح مخطوطات البحر الميت ينطبق على هذه المخطوطات أيضًا ولكن هذه المواد تختلف إقليميًا عن مخطوطات قمران.

ومن الجدير بالذكر أن بعض أحسن مخطوطات قمران موجودة الآن فى [مقام الكتاب] فى متحف إسرائيل فى القدس وهناك آلاف من القطع موجودة الآن فى

[المتحف الأثرى الفلسطيني]، متحف روكفلر سابقًا فى القدس أيضًا وهناك بعض تلك المخطوطات فى متحف عمَّان بالأردن وخاصة المخطوطة النحاسية.

اكتشاف المخطوطات

لقد تم اكتشاف أول كهف للمخطوطات فى العصر الحديث على يد بعض البدو من قبيلة «طعم الريح» فى شتاء أو ربيع ١٩٤٧ عندما كانت المنطقة تحت الانتداب البريطانى حيث كان الصبى محمد الديب يرعى غنمه وشردت إحداها واعتقد الصبى أنها وقعت فى أحد الكهوف الموجودة فى منطقة الرعى فأخذ يقذف الكهوف بالحجارة حتى يشعر بحركتها ولكنه بدلا من ذلك وجد فى كهف قمران رقم ١ سبعة مخطوطات (لفافات) محفوظة جيدًا أخذها الصبى وباعها لأحد تجار العاديات (الآثار) فى بيت لحم ومن خلال هذا التاجر حصل إليعازر سوكنيك الأستاذ بالجامعة العبرية فى القدس ومار أثينايوس يشوا صمويل وهو سورى أرثوذكسى مدنى مرتبط بدير سانت مارك فى القدس على تلك المخطوطات اللفافات. وقام مار صمويل بعرض المخطوطات التى حصل عليها على طلبة الدراسات العليا فى المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية فى القدس وتم تصوير اللفافات التى أمكن فضها تصويرًا فوتوغرافيًا. وتم نشر المخطوطات السبع كلها على مدى الثمانى سنوات التى تلت. ولم تصبح منطقة الكهوف تابعة للأردن إلا بعد سنة ١٩٤٠ ومن ثم اتخذت الإجراءات (عن طريق فيليب ليبنز من الرابطة الغربية) لتحديد مكان ذلك الكهف. وفى فبراير ومارس ١٩٤٩ تم تنقيب الكهف ومن ثم اكتشفت بعض قطع من ٧٠ مخطوطة أخرى وفى نفس الوقت تم التفتيش فى أطلال المبانى القديمة فى قرية قمران التى كانت قريبة من الكهف.

وفى سنة ١٩٥١ وجد الصبى محمد الديب بدوى قبيلة طعم الريح بقايا مخطوطات فى ثلاث من الكهوف فى موقع ثان هو وادى المربعات القريب من الموقع الأول. وتم تنقيب تلك الكهوف ووجدت بها نسخ من أسفار الكتاب المقدس، عقود، قوائم، خطابات من بينها خطابات كتبها سيمون بار كوسيبا (بار كوخبا) قائد الثورة الثانية (١٣٢ ـ ١٣٥م) إلى بعض جنوده. وكثير من مخطوطات المربعات

تحمل تواريخ عائدة إلى القرن الأول والثانى للميلاد على الرغم من أن من بينها خطابًا يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد وقليل منها يرجع إلى القرون من التاسع حتى الحادى عشر الميلادي.

وفى سنة ١٩٥٢ تم تحديد مكان كهوف قمران من الثانى حتى السادس. وقد أغل الكهف الرابع أجزاء من نحو ٥٠٠ مخطوط واثبت أنه اغنى الكهوف بالمخطوطات؛ وكانت بعض تلك الكهوف بما فيها الرابع قريبة من أطلال وادى المربعات. وكان لابد من إجراء مسح منظم لكل الكهوف فى المنطقة بل إن أطلال وادى المربعات نفسها تم التنقيب فيها خمسة مواسم أثرية (١٩٥١ ـ ١٩٥٦). وفى خلال الموسم الرابع اكتشف الأثريون الكهوف ٧ ـ ١٠ التى لم تغل إلا مواد مكتوبة قليلة، بينما الكهف رقم ١١ الذى أغل عددًا معقولًا من المخطوطات تم اكتشافه سنة ١٩٥٦.

وكان التنقيب المبدئى لأطلال المبانى فى منطقة الكهف الأول من كهوف قمران قد تم كما أسلفت سنة ١٩٤٩. وكان الاستنتاج المبدئى أن هذه الأطلال كانت بقايا حطام قلعة رومانية ترجع إلى القرنين الثالث والرابع للميلاد وليست لها علاقة بالكهف الذى وجدت به المخطوطات. وبعد ذلك تم اكتشاف فخار شبيه بذلك الذى عثر عليه فى الكهف مما أدى إلى إعادة تقييم للموقف ومن ثم جردت سلسلة من الحملات الجديدة إلى الموقع المذكور. وقد قادت النتائج إلى تقديم قرائن تؤكد النظرية القائلة بأن الأطلال كانت بقايا مركز تجمع (وليس سكنًا) تجتمع فيه الجماعة لتناول الطعام والدراسة والعبادة وحيث يقوم البعض بكتابة ونسخ المخطوطات. وقد كشفت الحفائر أيضًا عن نظام مستفيض تنقل بواسطته المياه من التلال العليا فى قنوات إلى المبانى مباشرة وحيث تجمع هناك فى عدة صهاريج. وقد أكد الأثريون أن الموقع قد شهد عدة سكنى وشغلته جماعات مختلفة فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، (وربما كانت الإشارة إلى «مدينة الملح» فى جوشوا) ١٥:٦٢ يراد بها هذا الموضع. والفترة (مرحلة 1أ) التى تبدأ من حوالى ١٤٠ ق م وتنتهى بعد ذلك مباشرة والفترة (مرحلة 1 ب) التى تبدأ من الثلث الأخير من القرن الثانى ق.م هى

التى شيد فيها نظام الإمداد بالمياه وشيدت فيها المبانى ولم تلبث أن دمرها الزلزال سنة ٣١ ق.م والوقت (مرحلة ٢) التى تمتد من إعادة بناء الموقع فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد حتى تم تحطيمها بعد ذلك على يد القوات الرومانية فى حدود ٦٨م أو ٧٠م. وكانت هناك مرحلة ثالثة أيضًا مرت بها المنطقة عندما قامت حامية عسكرية رومانية ببناء ثكنات عسكرية قليلة هناك.

ولقد تم اكتشاف مواقع أخرى فى البرارى اليهودية أغلت بدورها بعض المخطوطات اعتبرت جزءًا من مخطوطات البحر الميت من بينها «المسادا، نسخ من بعض أسفار الكتاب المقدس، نسخ من أعمال بن سيرا [كتاب سيرا] وإحدى وثائق قمران» كما وجدت نسخ من نحال حيفر [بعض نصوص الكتاب المقدس من بينها نسخ يونانية من الـ ١٢ نبى الأصاغر، عقود، خطابات من بينها خطابات أخرى من بار كوخبا، نحال سمأر (وهو بردية يونانية تتضمن أسماء بعض الشخصيات)، خربة مرد (بعض نصوص قليلة من الحقبة البيزنطية عائدة للفترة من الخامس حتى الثامن الميلادى).

تاريخ المخطوطات

ظل تأريخ مخطوطات البحر الميت وأطلال قمران محل جدل شديد منذ البداية وحتى الآن. وكانت الطرق المستخدمة فى التأريخ وتحديد الإطار الزمنى العام لها هى نفس الطرق القياسية التى يستخدمها علماء الآثار وعلماء النقوش وعلماء الفخار والمسكوكات وعلماء الكتابة. وكانت النتيجة المؤكدة لكل هذه المواد أنها جميعًا تعود إلى نفس الفترة: القرنان الأخيران قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي. وحتى أسماء الأفراد والإشارات إلى الأحداث فى المخطوطات تلائم الفترة المحددة. وقد خضعت إحدى قطع القماش الكتان التى لفت بها إحدى المخطوطات لاختبار كربون ١٤ (راديو كربون) أو الكربون المشع سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١، أسست تاريخًا عامًا هو ٣٣م مع نقص أو زيادة ٢٠٠ سنة ومن ثم يتناسب ذلك مع النتائج التى كشفت عنها مصادر أخرى. ولما كانت الاختبارات بالكربون المشع فى ذلك الوقت تتطلب تدمير جزء كبير من المادة التى تخضع للاختبار، فإن المخطوطات نفسها لم

تخضع للفحص بهذا الأسلوب. ولكن الفحص بالكربون المشع تطور بعد ذلك كثيرًا ومن ثم لم نعد بحاجة إلى تدمير إلا جزء يسير من المادة. وقد طبق أسلوب مقياس الطيف المعالج على ١٤ مخطوطة (من قمران وأماكن أخرى سنة ١٩٩٠) بعضها مؤرخ داخليًا ولكن معظمها غير مؤرخ وكانت النتيجة أيضًا واحدة ومتسقة مع مدى ضيق وهى نفس التواريخ التى حددها التحليل الباليوجرافي. وكان هناك استثناء وحيد فى مخطوطة واحدة حدد لها مقياس الطيف المعالج ٢٥٠ سنة مبكرًا عن التاريخ الذى حدده التحليل الباليوجرافي.

تحقيق المخطوطات

كثير من الباحثين الذين توفروا على تحقيق مخطوطات البحر الميت ومن بينهم إليعازر سوكنيك سابق الذكر أكدوا أن هذه المخطوطات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجماعة الإسينيين أحد الأحزاب الثلاثة اليهودية أو الفلسفات التى ذكرها المؤرخ اليهودى الشهير (جوزيفوس) فى القرن الأول الميلادي، وغيره من الكتاب القدامى. وكان هناك خطان يقودان هؤلاء الباحثين وغيرهم إلى الربط بين الإسينيين وبين مخطوطات البحر الميت رغم أن هذه الصلة ما تزال حتى الآن مجرد افتراض.

كان الخط الأول للربط بين الإسينيين والمخطوطات يتعلق بالعقيدة وممارسة الشعائر. ذلك أن التعاليم والأفعال والممارسات التى وصفت فى المخطوطات يتمشى إلى أبعد حد مع ما قرره جوزيفوس عن الإسينيين ويبتعد كثيرًا أو كلية عما قرره بالنسبة للفارسيين و(الزيلوت) والصدوقيين، وعلى سبيل المثال يميز جوزيفوس الطرق التى تفهم بها الأحزاب الثلاثة (القدر) أو الحتمية المسبقة. ويقول لنا إن الإسينيين يعزون كل شيء للقدر؛ اما الفارسيُّون فإنهم يعزون بعض الأحداث إليه ولكنهم فى نفس الوقت يؤكدون على حرية الإنسان فى أحداث أخرى، بينما الصدوقيون ينكرون القدر كلية. وتعبر مخطوطات قمران عن وجهة نظر الإسينيين فى هذه القضية المحورية. كذلك فإن جوزيفوس أيضًا يذكر مجتمعًا من الفضائل أو رفض الملكية الخاصة بين الإسينيين وقد أكدت المخطوطات على

هذه الممارسة بين جماعة قمران. هذه الممارسات تؤسس ممارسات موازية واضحة لدى الكنيسة الأولى المسيحية فى القدس. وثمة قرينة أخرى تأتينا من الجغرافى الرومانى بلينى الذى اقتبس فى كتابه (التاريخ الطبيعى ٧٧م) من أحد المصادر السابقة عليه يؤكد مؤلفه على وجود مجتمع من الإيسينيين يعيشون على الشاطئ الشمالى الغربى للبحر الميت وهو نفس المكان الذى تقع فيه أطلال وكهوف قمران.

هذه الأدلة والقرائن والآراء كانت كفيلة بإقناع الباحثين بيد أن هناك بعض المشكلات فى التعرف على الجماعة كفرع من الحركة الإيسينية الأكبر. وعلى سبيل المثال فإن بعض العقائد القاطعة للمجتمع الطائفى (تقول بأن هناك مسيحيْن وأن السنة الشمسية مدتها ٣٦٤ يومًا) لا يمكن أن تنسب إلى الإيسينيين (أو لأية جماعة أخرى) فى النصوص القديمة. ومع ذلك فإن الفرضية القائلة بأن هذه النصوص صادرة عن الإسينيين هى أقرب للحقيقة من أى نظرية أخرى. ويبدو أن هناك جماعة صغيرة من بينهم القساوسة أساسًا قد غادرت القدس فى حدود سنة ١٥٠ ق.م اعتراضًا على سلوكيات وتفسيرات وممارسات اليهود واختاروا لأنفسهم المنفى الاختيارى فى قمران حيث عاشت الجماعة وازدهرت لأكثر من قرنين.

مخطوطات ونصوص قمران

لقد تم اكتشاف نحو ٨٠٠ عمل أى مخطوط فى كهوف البحر الميت فى قمران ولكن قليلًا منها هو الذى وصلنا فى حالة جيدة سليمة وكاملة. وحيث كانت الأغلبية ممزقة مهلهلة. وهذه هى حالة المخطوطات الـ ٥٠٠ على الأقل والتى عثر عليها فى الكهف رقم ٤. وبناء على ما وصلنا من تلك المخطوطات فإننا يمكن أن نقسمها إلى أربع فئات عريضة:

أ ـ مخطوطات للكتاب المقدس.

قد لا يناسب ذلك الوقت إطلاق مصطلح الكتاب المقدس ولكن ما وجد من نسخ فى كهوف البحر الميت للكتاب المقدس العبرى هى نفسها تقريبًا الموجودة الآن فى (العهد القديم البروتستانتى). ونسخ الكتاب المقدس العبرى تبلغ ٢٠٢ مخطوطة

أى تقريبًا ربع ما عثر عليه من مخطوطات البحر الميت. وربما كانت النسخة الوحيدة الكاملة من الكتاب المقدس العبرى هى تلك التى وجدت فى الكهف رقم ١ (مخطوطة عيسياه) الكبير وربما كانت الكتب التى ظفرت بالعدد الأكبر من النسخ هى على الولاء:

* مزامير داود ٣٦ نسخة.

* سفر تثنية الاشتراع (٢٩ نسخة).

* عيسياه (إيسياه) (٢١ نسخة).

وحتى الآن لم يتم اكتشاف أية قطعة من سفر أيثر ولا أى نسخة من نحميا رغم أن نحميا يعتبر هو وعزرا سفرًا واحدًا وحيث وصلنا من عزرا بعض القطع.

ومن الجدير بالذكر أن كتاب اليوبيل [كتاب عبرى لم يصبح ضمن الكتب المقدسة اليهودية] موجود منه ١٤ أو ١٥ نسخة ربما أكثر من أى سفر آخر من أسفار الكتاب المقدس فيما عدا الأسفار الثلاثة سابقة الذكر.

ومن المؤكد أن مخطوطات قمران من الكتاب المقدس هى أقدم بكثير من أية نسخ أخرى من الكتاب المقدس العبرى التى عثر عليها قبل ١٩٤٧ والتى أقدمها يرجع إلى سنة ٩٠٠م. وفى بعض الأحيان تعتبر هذه النسخ أقدم من أية نسخة من الكتاب المقدس اليهودى على الأقل بألف سنة.

هذه النسخ تقدم مادة خصبة ثرية لنقاد النصوص الذين قارنوا القراءات الموجودة فى المخطوطات بغيرها من الصيغ القديمة للكتاب المقدس. وعلى الرغم من أن مخطوطات الكتاب المقدس بين مخطوطات قمران تشبه تمامًا تلك التى جاءت بعدها من نصوص عبرية تقليدية (المازورة) إلا أن بعضها يختلف فى الهجاء أحيانًا مع أسفار موسى الخمسة السامرية (العبرية) أو الترجمة السبعينية (اليونانية للكتاب المقدس العبرى). وفى عدد من الأحوال تبدو الترجمة السبعينية مختلفة عن النص العبرى التقليدى ويبدو أنها ترجمت عن نموذج آخر مختلف، لأن اختلاف القراءات فى الترجمة السبعينية لم تخترع ولم تكن خاصة بها.

ب - شروح وحواشى على أسفار الكتاب المقدس

تذكر المصادر الثقاة أن دراسة الكتب المقدسة اليهودية كانت جزءًا من العمل اليومى لمجتمع قمران. وبفحص المجموعة المخطوطة التى وصلتنا من كهوف قمران سوف نجد أن ١٧ مخطوطة منها على الأقل عبارة عن شروح وتعليقات وحواشى على سفرى «الأنبياء»، و«المزامير». ومن بين تلك الشروح نصادف شرح وتعليق على (حبقوق). وهو واحد من المخطوطات السبعة التى أغلها لنا الكهف رقم ١ تلك التى وصلتنا سليمة كاملة على ما أشرت. وكان الشارح يفحص سفر الأنبياء فى سبيل أن يقتبس قطعة من النص ثم يشرح معناها ثم يتقدم إلى التى يليها وهكذا. ومن الجدير بالذكر أن طرق الشرح والتفسير تتفاوت وتتعدد ولكن هناك افتراضين يقودان العمل التفسيرى التأويلى: ذلك أن مفسر الكتاب المقدس كان يكتب عن الأيام الآتية والأيام الآتية هى الآن وعلى أساس هذه الحقيقة المقررة وجد المفسر فى النص المقدس إشارات إلى وقته ومجتمعه وقادته ومن هنا تحمل هذه الشروح والتفاسير إشارات إلى الناس والأحداث التى تعين فى تحديد مكان اللفافات المخطوطة فى السياق التاريخى لها. ويؤكد لنا تفسير حبقوق أن النبى نفسه لم يكن يعرف إلى أى زمن يشير ولكن الله أوحى إلى «معلم الاستقامة» [ربما كان مؤسس الجماعة] أن يفض مغاليق سفر الأنبياء. هذه التفاسير والشروح المستمرة كانت عادة ما تصحب بسلسلة من الوثائق يمكن أن نسميها التفاسير الموضوعة لأنها كانت فى الأعم الأغلب تشرح وتفسر قطعًا ذات صلة من الأسفار المقدسة الأخرى.

ج - الأبوكريفا والأبوكريفا المزيفة

بداية الأبوكريفا هى ١٤ سفرًا من أسفار اليهود لا تعترف بها الكنيسة البروتستانت وكذلك الأبوكريفا المزيفة أو شبه الأبوكريفا. والفئتان من الأسفار أو الكتابات اليهودية ليستا جزءًا من الكتاب المقدس اليهودى ومن ثم ليستا جزءًا من الكتب المقدسة اليهودية ولكنهما موجودتان ضمن ما عثر عليه من مخطوطات البحر الميت. وهذه الأسفار لم تتم إتاحتها إلا من خلال الترجمات اليونانية واللغات

الأخرى وتمدنا مخطوطات البحر الميت بالدليل المادى على وجودها بلغاتها الأصلية. ومن بين أسفار الأبوكريفا أجزاء من أربعة أعمال ممثلة فى مخطوطات البحر الميت ببعض قطع محدودة مثل: حكمة يسوع بن سيرا (سفر سيراش)؛ خمس نسخ من التوبيت؛ [التوبيت هو سفر من أسفار أبوكريفا غير معروف المؤلف يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وربما يكون قد كتب بالآرامية وهو موجود بكامله فقط فى الترجمة اليونانية؛ وقد تم اكتشاف بعض قطع منه بالآرامية والعبرية بين مخطوطات البحر الميت. وسفر توبيت يتكون من تقرير أو وصف للشخص الحق توبيت من قبيلة نفتالى الذى نفى إلى آشور أيام شلمناصر. وتوبيت يصف كيف أصبح فجأة أعمى وأرسل ابنه توبياس إلى ميديا كى يجمع له ديونًا قديمة. ويذهب توبياس فى صحبة الملاك رافاييل إلى إكباتانا ويقابل سارة التى قتل أزواجها السبعة جميعًا على يد الروح الشريرة (أسموديوس) فى ليلة الزفاف. ويتزوج توبياس من سارة ويطرد (أسموديوس) بوصفة سرية يقدمها له الملاك رافاييل. وفى رحلة العودة إلى نيوس يستخدم توبياس وصفة مماثلة ليعيد البصر إلى ابيه (توبيت) وينتهى سفر توبيت بكلمات أخيرة من توبيت إلى توبياس فيها يتنبأ بالتئام القدس وعودة المنفيين وسيادة الأشراف]. ومما وجد فى هذا الصدد أيضًا قطعة من خطاب جيرمياه ومزمور ٥١. ومن بين الأبوكريفا الزائفة أو شبه الأبوكريفا [أسفار أو أعمال يزعم أنها قديمة وذات قيمة أثرية ألفها أشخاص ذوو حيثيات: إينوخ أو موسى] تظهر ثلاثة أسفار بشكل أو بآخر: إينوخ ١ تظهر فى ١١ نسخة، اليوبيل فى ١٤ أو ١٥ نسخة وبعض نسخ العهد القديم: ١٢ نسخة من أسفار موسى الخمسة وخاصة من وثيقة ليفى الآرامية. وكثير من هذه الأعمال وأشباهها كشف عنها فى قمران.

د ـ كتب طائفية.

رغم أنه لا يمكن الزعم بأن كل الأعمال التى وجدت فى كهوف البحر الميت هى أعمال فكرية لخدمة الطائفة أو المذهب، إلا أنه من الطبيعى أن يكون الجانب الأكبر من هذه الكتب ذات طبيعة وظيفية لخدمة المجتمع الذى عاش فى كهوف قمران وبالقرب منها. وكانت كتب القانون واحدة من أكبر فئات الكتب الطائفية ومع

تقدم نشر هذه المخطوطات كلما زاد عدد كتب القانون التى تحكم حركة المجتمع وتضبط سلوك الأفراد وإيقاع الحياة فيه. لقد كان لدى الجماعة طريقة منظمة وقاطعة فى فهم وتطبيق قانون الكتاب المقدس. وهذه الجماعة بهذه الطريقة ميزت نفسها عن سائر الجماعات اليهودية التى اعتبرتها دونها فى الالتزام والاستقامة والطاعة.

ولعل من أحسن الأمثلة على الكتب القانونية والتى وصلتنا أيضًا فى حالة جيدة: «دليل النظام» وهو قانونى جزئيًا، وثيقة دمشق، مخطوطة المعبد، أجزاء من وثيقة اسمها (بعض أعمال التوراة). ويمكننا القول بأن «دليل النظام» يعد بمثابة دستور الجماعة حيث يضع قواعد الانضمام إلى المجتمع والقواعد التى تحكم الحياة العامة المشتركة؛ العقيدة التى تعتنقها الجماعة والتنظيم الذى تقوم عليه.

ونوع آخر من الكتب الطائفية يمكن أن نطلق عليه اسم (كتب الإيمان بالبعث والآخرة) لأنها تعالج اليوم الآخر ونهاية العالم والزمان وعلى سبيل المثال تتحدث مخطوطة الحرب بالتفصيل عن النهاية التى هى ٤٠ سنة حرب بين أبناء النور وأبناء الظلام وهى الحرب التى سيحسمها الله فى النهاية لصالح أبناء النور.

وهناك مجموعة وثائق تتحدث عن القادة فى النهاية: النبى والمسيحان لقارون وإسرائيل. ومن الواضح أن الجماعة كان لديها إحساس بأنها تعيش قرب النهاية وأنها كانت تستعد لها.

ونوع ثالث من الكتابات يمكن أن نطلق عليه مخطوطات الشعائر والترانيم. لقد كان نظم الشعر الدينى كالموجود فى سفر المزامير عملًا مستمرًا طوال قرون قمران. ومن بين نصوص الشعائر توجد نصوص تعبر عن الاعتقاد فى أن أفراد الطائفة والملائكة مرتبطين فى حياتهم وعباداتهم. ومن بين الطقوس التى كانت تمارسها الجماعة (ربما من حين لآخر) تلك الوجبة التى يتم فيها تناول الخبز والنبيذ وأن المسيح وبعض القساوسة كانوا حضورًا فى هذه الوجبات بطريقة ما.

وثمة نوع رابع من كتب الطائفة لم يكتشف بين المخطوطات إلا مؤخرًا يمكن أن نطلق عليه (كتب الحكمة) وهى عبارة عن كتب وعظ وإرشاد وحكم وأمثال ربما

تستقى من الكتب المقدسة أو من تجارب الحكماء؛ ومؤلفو هذه الكتب إنما يعولون على تنبيه الخلق للسلوك القويم. وفى بعض الأحيان كانت كتب الحكمة تنطوى على ملامح طائفية وفى أحيان أخرى لا نجد تلك الملامح.

التعاليم الرئيسية للمجتمع

لقد كشفت مخطوطات قمران عن جماعة تعتقد أنها دخلت مع الله فى حلف جديد ومن ثم كان على أعضاء الجماعة أن يدرسوا ويؤدوا الوصفات التى قدمتها التوراة. إنهم وحدهم هم الذين يمثلون إسرائيل الذى أوتى الملك والآخرون ذهبوا هباء. فى القرب من بدايتهم أوحى الله إلى (معلم الاستقامة) أن يكشف عن المعنى الحقيقى للنبوءات القديمة وأن يقود المجتمع (الجماعة) إلى الطريق القويم للحياة. وكانت تفسيراتهم للكتابات المقدسة تحت إشراف معلمهم تقول بأن النهاية قريبة. ولقد سلخت جماعة قمران نفسها عن اليهود الذين اتسموا بعدم النقاء والعصيان وذهبوا بعيدًا إلى شواطئ البحر الميت ليحققوا نبوءة الإصحاح ٤٠ وهى تمهيد الطريق إلى الله فى البرية. لقد عاشوا على أمل أن يعودوا إلى مجتمع المعبد يومًا ما ليعيدوا بناء قدس الأقداس وذلك طبقًا للمواصفات الإلهية والتوجيهات الربانية. وهناك نستمر فى عبادة الله فى الأوقات المحددة فى تقويم الـ ٣٦٤ يومًا التى كشف عنها ولقد درسوا الكتب المقدسة بصفة مستمرة فى محاولة لإيجاد معنى الزمن الذى يعيشون فيه ومجرى التاريخ الذى يجب أن ينتهى بمحاكمة الأوغاد والأشرار ويقدم للأخيار المؤمنين حياة جديدة أبدية. وبعض المخطوطات تؤكد أنهم كانوا فى انتظار المسيح الذى يأتى من صلب داود وكان لابد أن يأتى بصحبة قسيس هو الآخر مسيح. وكانت الجماعة تعتقد أن الله خلق الكون ووضعه تمامًا تحت سيطرته رغم وجود شر كبير. وقبل خلق أى شيء كان سبحانه قد قرر بالضبط ماذا سيكون وقسَّم الخلق إلى معسكرين: أبناء النور وأبناء الظلام وكان على الطرفين أن يدخلا فى حرب وكل منهما يؤازره فريق من الملائكة فى صراعه مع الطرف الآخر. ولكن الله فى النهاية يعطى النصر لأبناء النور ويحطم أبناء الظلام الأوغاد.

الاختلافات والنزاعات حول المخطوطات

فى نهاية الثمانينات ومطلع التسعينيات من القرن العشرين أحاط جدل شديد ونقاش عام كبير بالمخطوطات التى لم تنشر من لفافات البحر الميت. فى الخمسينيات من القرن العشرين تم تشكيل فريق من ثمانية باحثين للاشتغال بآلاف القطع التى أغلها الكهف رقم 4 وهو عمل عملاق يشبه ذلك العمل الذى يسعى إلى إعداد لوحة فسيفساء ضخمة معظم بلاطاتها غير موجودة. لقد تم تصوير كل تلك القطع تصويرًا فوتوغرافيًا على مراحل مختلفة من العمل. وتوفر المحررون بكل الدأب وبكل المعاناة على تحقيق تلك القطع ولم شمل قطع المخطوط الواحد معًا. لقد أدوا مجهودًا خارقًا فى تنظيف وفرز وقراءة وتحقيق وترجمة هذه النصوص ونشروا على الملأ الكثير منها. ومع مرور العقود بدا العمل ضخمًا وعبئًا ثقيلًا على هذا العدد من المحررين والمحققين وبقى عدد كبير من المحطوطات دون تحقيق ودون نشر وأكثر من هذا حرم الكثير من الباحثين من الاطلاع على تلك المخطوطات غير المنشورة والتى كانت تحت قبضة المحققين الأصليين وخلفائهم. ولكن فى سنة ١٩٩١م أتيح الاطلاع على العديد من المخطوطات غير المنشورة من خلال الصور والنسخ الفوتوغرافية.

ومن بين تلك المخطوطات:

١ـ طبعة مصورة من مخطوطات البحر الميت. نشر جمعية آثار الكتاب المقدس والتى أتاحت كثيرًا من القطع التى لم تكن متاحة من قبل.

٢ـ أعطت سلطة العاديات الإسرائيلية الإذن بالتصوير الرسمى لمن يرغب فى تصوير كل مخطوطات البحر الميت والتى كان قد حملها على ميكروفيش إ. ج. بريل سنة ١٩٩٣ تحت عنوان (مخطوطات البحر الميت على ميكروفيش/ تحرير إيمانويل توف/ ومعها فهرس ببيانات كل المخطوطات والقطع. وكذلك للنصوص التى اكتشفت فى المواقع المجاورة).

حوليات مخطوطات البحر الميت

كانت ملحمة كشف كهف ذى محتويات غير متوقعة بالقرب من الشاطئ الغربى

للبحر الميت وسلسلة التداعيات والأحداث التى تلاحقت بعد هذا الكشف موضع اهتمام غير عادى من جانب العلماء والباحثين من جميع أنحاء العالم ـ عدا العالم العربى مكان الكشف ـ منذ تم هذا الكشف وحتى كتابة هذا البحث فى نهاية ٢٠١٢م. وقد انخرط فى هذا الاهتمام علماء المخطوطات وعلماء الآثار وعلماء الباليوجرافيا وعلماء الدين واللاهوت وغيرهم ولئن كانت مخطوطات البحر الميت قد خفتت من حولها الأضواء لفترة هنا وهناك إلا أن الأضواء تعود بعد ذلك قوية بل أشد مما كانت. ويرى الباحث المدقق أن خفوت الأضواء لفترات محدودة كانت عادة بفعل فاعل؛ ولكن بعد مرور أكثر من ستين عامًا على هذا الكشف، إلا أن مخطوطات البحر الميت ما تزال تثير فى كل يوم شيئًا جديدًا لدرجة أن هذه المخطوطات أصبحت فرعًا من فروع المعرفة البشرية وله رقم تصنيف فى خطط التصنيف العالمية ولا اعتقدن أن ملف هذا الموضوع سوف يغلق فى المستقبل القريب؛ رغم مرور كل هذه العقود؛ فالقصة الكاملة لم تتم ولم تكتمل حلقاتها بعد، والألف مخطوط والأربعون ألف قطعة مخطوطات لم يدرس منها إلا كسرة فقط. وكل قطعة وكل مخطوط تحتاج إلى فصيل كامل من العلماء والباحثين.

ولقد سعيت فى هذا الفصل إلى تتبع وقائع وتداعيات وأحداث كشوف مخطوطات البحر الميت تتبعًا زمنيًّا على اعتبار أن هذه الحوليات تعتبر مدخلًا آخر من مداخل دراسة هذه المخطوطات. وسوف يكون التركيز على الوقائع والتداعيات ذات الأهمية الخاصة والتى تلقى الأضواء على فهم كيف ولماذا اتخذت دراسة هذه المخطوطات، هذا المسار أو ذاك. وسوف أبدأ هذه الحوليات بإعلانين عن الكشف الأول صدرا سنة ١٩٤٨.

فى الحادى عشر من إبريل ١٩٤٨م أصدرت المدرسة الأمريكية للبحث الشرقى إعلانًا وبيانًا صحفيًّا قصيرًا، وقد نشر هذا البيان فى اليوم التالى فى جريدة (تايمز) اللندنية. وكان نصه ما ترجمته باللغة العربية عن اللغة الإنجليزية التى صدر بها البيان:

«أعلنت جامعة ييل بالأمس عن اكتشاف أقدم مخطوط معروف لسفر عيسياه

فى فلسطين. لقد وجد هذا المخطوط فى دير سانت مارك السورى فى القدس. وهـذا المخطوط كان محفوظًا فى لفافة من رقوق، وحيث يرجع تـاريخ هـذا المخطـوط إلى حوالى القرن الأول قبل الميلاد. على نحو ما تحقق منه الباحثون بالمدرسة الأمريكيـة للبحث الشرقى فى مدينة القدس.

«كذلك تم فحص ثلاثـة مخطوطـات عبريـة قديمـة أخـرى فى نفـس المدرسـة؛ إحداها جزء من شرح سفر حبقوق؛ وآخر يبدو أنه دليل النظام لطائفة غير مشهورة نسبيًّا أو جماعة ديرية، ربما هم الإيسينيون، أما المخطوط الثالـث فلـم يـتم التعـرف عليه».

وقد فتح هذا الإعلان الباب واسعًا للتتبع والتعقب، وحيث قال هـذا الإعـلان الشيء الكثير. فمن حيث المخطوطات نفسها فقد كان الكـشف للفافـات مخطوطـة قديمة مكتوبة بلغات قديمة وإلى جانب المخطوطات كانت هناك قطع فنيـة حرفيـة مثل الجرار الطينية ولفات الكتان واللمبات وغيرها. وكانت تلك المخطوطات قـد اكتشفت بداية فى الكهف الذى رقم بعـد ذلـك بـرقم ١، وبعـد هـذا الكـشف تـم الكشف عن أطلال واسعة المدى لمبانٍ بالقرب من ذلك الكهف قـام الأثريـون فـيما بعد بالحفر فيه، بيد أن الكشف الأخطر هو كشف المخطوطات نحو ١٠٠٠ مخطوط و٤٠.٠٠٠ قطعة مخطوطة بقايا مخطوطات.

وبينما كان من المتوقع أن يكون سفر عيسياه باللغة العبريـة وكـذلك شرح سـفر النبى حبقوق كان من المتوقع أيضًا أن يكون باللغة العبرية، إلا أنـه كـان مـن المثير للدهشة أن نجد كتابات خارج الكتب المقدسة تهتم بالحياة اليومية وتنظيم المجتمـع مكتوبة باللغة المقدسة. وكان من الواضح فى ذلك الوقت أن العبرية كانت ما تـزال لغة حية مستخدمة فى التأليف وربما أيضًا لغة حديث ولم تحل محلهـا الآراميـة كليـة. وما لم يكن معروفًا فى ذلـك الوقـت وقـت الإعـلان أن المخطـوط غـير المعـروف (أبوكريفا سفر التكوين) كان مكتوبًا باللغة الآرامية إلى جانب نحـو ١٢٠ مخطوطًـا آخر (بما يساوى ١٥٪ من مجمل المخطوطات) باللغة الآرامية.

وكانت مخطوطة عيسياه قد أرخت فى تلك الـسنة سـنة الإعـلان بـالقرن الأول

قبل الميلاد بناء على القرينة الباليوجرافية التى تمت عن طريق المقارنة بين الخط الذى كتب المخطوط به وذلك الخط الذى كتبت النقوش المنتشرة فى المعاظم المنتشرة حول القدس ومع الخط الذى كتبت بعض الوثائق العائدة إلى تلك الفترة والتى وصلتنا مثل بردية ناش من مصر. وكانت هناك بعض المخطوطات التى اكتشفت بعد ذلك وترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد؛ وبعضها يرجع إلى منتصف القرن الأول الميلادى ولكن الغالبية العظمى من المخطوطات كما رأينا ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد.

وكانت المخطوطات الأربعة التى ورد ذكرها فى الإعلان تدور فى نفس الموضوعات التى تعالجها سائر المخطوطات التى تم اكتشافها فيما بعد. وكان سفر عيساياه هو بطبيعة الحال وكما عرفناه طويلًا هو أحد أسفار الكتاب المقدس العبرى (العهد القديم). ونسخة هذا المخطوط أقدم بألف سنة من أى مخطوط لهذا السفر وصل إلينا؛ وكانت المخطوطات الأخرى فى هذا الاكتشاف تتضمن مادة غير معروفة لنا قبل هذا الاكتشاف. أما عن المخطوط الثانى وهو شرح سفر حبقوق فهو يمثل نوعًا من الأعمال يرى لأول مرة فى قمران. وحيث يعرض النص الأصلى فى جمل متسلسلة من الكتاب المقدس ويعقب كل مجموعة جمل شرحها ومعانى كل جملة على التوالى وهو نفس الأسلوب والقطع فى الشروح الحديثة. أما المخطوطة التى لم تكن قد حققت آنذاك والتى لم يتم فكها وفضها إلا بعد صعوبة بالغة بعد الإعلان بفترة طويلة، فقد اتضح فيما بعد أنها إعادة قص وتوسيع لأجزاء سفر الخروج المقدس وخاصة الأقسام المتعلقة بمولد نوح والطوفان وإبراهيم وسارة فى مصر وكان الاسم الذى أطلق عليه آنذاك (أبوكريفا سفر الخروج). وكان هذا العمل نموذجًا على مجموعة من النصوص التى تعيد قص وإعادة تفسير للكتابات المقدسة، ومن ثم يفتح نافذة على كيف كانت الكتب المقدسة تقرأ وتفهم. أما اللفافة الأخرى فلم تكن لتتصل بالكتاب المقدس على وجه الخصوص وكانت تتضمن عناصر مختلفة: احتفالات شعائر التبريكات واللعنات وترتيلة شعرية طويلة وبعض فقرات عن العقيدة واللاهوت (من إله المعرفة يأتى كل ما كان وكل ما سيأتي...

لقد خلق الإنسان ليحكم العالم وخلق بداخله روحين يتحرك فى ظلهما)؛ والقواعد والتعليمات لحكم المجتمع بما فى ذلك قانون العقوبات الذى يتضمن عقوبات محددة لخرق القواعد المقررة والمرعية. وقد أعطى هذا العمل عنوان (دليل النظام) وحيث ذكّر هذا العمل بعض الباحثين المسيحيين الذين كانوا يقرأون هذا النوع من الأعمال للمرة الأولى بكتبهم الخاصة بإدارة الكنيسة (وعلى سبيل المثال (دليل نظام الميثوديست). وبعد أن أطلق عليه (لائحة المجتمع) هو فقط واحد من مجموعة لوائح مثل لائحة المجمع المقدس وثيقة دمشق.

وقد تضمن إعلان تايمز اللندنية «طائفة غير مشهورة نسبيًا أو جماعة (برية) وطبقًا لمصطلحات علم الاجتماع الحديث فإن الجماعة التى كتبت هذه المخطوطات وتدل عليها «لائحة المجتمع» تتسم بخصائص (الطائفة) الدينية. وهذه الجماعة مثل سائر اليهود كانوا يتبعون شريعة (قانون) موسى، وإن كانوا يزعمون أنهم هم وحدهم الذين يعرفون تفسير هذه الشريعة بطريقة صحيحة وقد عرفوا أنفسهم بأنهم (أبناء النور) المحاطون من كل جانب بـ(أبناء الظلام). وكان لانسحابهم إلى الصحراء، والحياة الجماعية وتشارك الممتلكات أى الملكية العامة؛ والتنظيم الصارم للمجتمع واللائحة التى تتبع بدقة، وفوق كل ذلك غياب النساء والأطفال وعدم وجود أية إشارة إليهما، إنما يشى بأننا أمام نوع من الحياة الديرية التى كانت السلف لنظم الإديرة المسيحية التى ازدهرت فى العصر المسيحى فيما بعد فى البرية لعدة قرون تالية.

وقد جاء فى الإعلان أن هذه الطائفة ربما تكون (الإيسينيون). وهناك وصوفات حول يهودية المعبد الثانى (من كتابات جوزيفوس والعهد الجديد ثم بعد ذلك كتابات الربابنة) نستنتج منها أنه كانت هناك طوائف أو مدارس لاهوتية جثنا على تحليل تفصيلى لها فى هذا البحث على رأسها: الفارسيون والصدوقيون والإيسينيون وعلى أساس معلوماتنا عن المخطوطات الأولى التى تم اكتشافها لم يكن مؤلفو هذه المخطوطات هم الفارسيون فقد كان أهل قمران أصحاب تفسير خاص أكثر حرفية للتوراة، يستبعد تمامًا الاعتماد على (التوراة الشفوية) التى نزلت على موسى فى جبل

سيناء ولكن على ما جاء فى الوحى الذى نزل على زعيمهم مؤسس الطائفة (معلم الاستقامة). وعلى الرغم من أن زعماءهم كانوا قساوسة كهنة (يطلقون على أنفسهم أيضًا أبناء زادوك) إلا أنهم لم يكونوا أبدًا (صدوقيون) حيث كانوا يؤمنون بوجود الملائكة وبالبعث والنشور أو على الأقل نوع من الحياة بعد الموت. وكما شرحنا من قبل بشيء من التفصيل كانت هناك وجوه اتفاق كثيرة بين مجتمع قمران وطائفة الإيسينيين على نحو ما وصفهم كل من جوزيفوس وفيلو وبلينى الأكبر حيث كانوا يعيشون حياة مجتمعية عامة ذات بنية طبقية صارمة، ذات ملكية جماعية وكانوا ينكرون الزواج ولم يكن بينهم أطفال وقد تطرق هؤلاء المؤرخون إلى تفاصيل دقيقة فى حياة مجتمع قمران مما يجعله منطبقًا على الإيسينيين ومن بينها على سبيل المثال: تجريم البصق خلال الاجتماعات العامة وعلى الرغم من وجود وجوه تنافر أو على الأقل وجوه عدم اتفاق أو انطباق كامل بين مجتمع قمران وجماعة الإيسينيين (مثل عملية تجنيد الأعضاء الجدد وأيضًا بعض الأمور الأخروية وسفر الرؤيا)، إلا أن الباحثين يؤكدون أن مجتمع قمران هو نفسه جماعة الإيسينيين وذلك بعد الكشف عن المخطوطات مباشرة فى ١٩٤٨.

وعلى الرغم من قصر ذلك الإعلان والبيان الذى صدر ١٩٤٨ وكمية المعلومات المحدودة إلا أن كمية التعقيدات السياسية والدينية التى نتجت عن هذا الإعلان كانت أكبر كثيرًا من توقعات الباحثين: مخطوطات يهودية اكتشفت فى فلسطين مباشرة فى نهاية حكم الانتداب البريطانى، فى حوزة دير سورى (سانت مارك مسيحى أرثوذكس) وقد أعلن عنها على يد (المدارس الأمريكية للبحث الشرقى) بجامعة ييل فى الولايات المتحدة. وفى كل بيان صحفى صدر عن هذا الكشف عبر العقود الستة التى تلت كانت هناك معلومات دقيقة ومفيدة جزئيًا، كما كانت هناك معلومات مضللة أو مبتورة ناقصة ومعلومات خاطئة غير دقيقة جزئيًا أيضًا.

وعلى سبيل المثال مخطوطة سفر عيسياه لم تكتشف فى الدير السورى سانت

مارك على نحو ما نشر فى الإعلان، وحيث لم يذكر الإعلان شيئًا عن كهف صحراء يهوذا ولم يذكر الإعلان شيئًا عن كيف شق المخطوط طريقة إلى بيت المقدس.

وكان الإعلان والبيان الثانى قد صدر عقب الإعلان الأول، ففى ٢٦ من إبريل من نفس سنة ١٩٤٨م حين قام الدكتور إليعازر سوكنيك رئيس الجامعة العبرية بإصدار بيان آخر لا لكى يصحح بعض المعلومات فقط وإنما أيضًا ليعرِّف رهبان الدير والباحثين فى دير سانت مارك ومدرسة البحث الشرقى أن هناك ثلاثة مخطوطات أخرى فى حوزة الدير، وأنه فى نهاية نوفمبر ١٩٤٧، قد استقل الأوتوبيس فى الأيام العصيبة لنهاية الانتداب البريطانى، إلى بيت لحم واشترى من تاجر العاديات هناك نسخة ثانية مقطعة من سفر عيسا ياه ومجموعة أناشيد شعرية على غرار المزامير أطلق عليها (مخطوطة تقديم الشكر) ومخطوطة أطلق عليها مخطوطة الحرب والتى تضمنت خطة تفصيلية لحرب مقدسة بين ما سمى أبناء النور ضد أبناء الظلام. وقال أن تلك المخطوطات هى الآن (١٩٤٨) فى حوزة الجامعة العبرية فى القدس.

وفى فبراير من سنة ١٩٤٨م تم إرسال نسخ صور فوتوغرافية باكرة من اللفافات المكتشفة إلى البروفيسور و.ف. أولبرايت ربما كبير أساتذة وباحثى العهد القديم وكبير الباليوجرافيين فى كل أمريكا الشمالية ومدير (معهد أولبرايت). وقد قام الرجل بدراسة عميقة متأنية لتلك الصور الفوتوغرافية، وفى خطاب شهير له كتبه فى ١٥ من مارس ١٩٤٨ وفى مقال تحليلى له نشر فى (مجلة المدارس الأمريكية للبحث الشرقى) فى إبريل من نفس عام ١٩٤٨؛ أعلن أولبرايت قرار الخبراء والباحثين المتعلق بأهمية هذا الكشف:

«تهانى القلبية على أعظم كشف للمخطوطات فى العصور الحديثة... يمكنك أن تتخيل كيف حملقت عيناى عندما رأيت الخط من خلال النظارات المعظمة، يا له من كشف لا يصدق إلى أبعد حد. إن الكشف الجديد سوف يحدث ثورة فى الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس والدراسات البينية... إنه سوف يجعل مصادرنا

الحالية حول خلفيات العهد الجديد قديمة بالية وكذلك مصادرنا حول نقد النصوص وتفسير العهد القديم».

ولكن ما هو المدهش أو المثير فى هذا الكشف وما هو الثورى هنا، إنه بكل تأكيد ليس التاريخ القديم الذى ترجع إليه تلك اللفافات ذلك أنه منذ القرن التاسع عشر كانت الآثار قد عجت بكشوفات أقدم بكثير من كشوفات قمران: مئات الآلاف من ألواح الطين من العراق القديم، النصوص الهيروغليفية من مصر القديمة بعضها يرجع إلى الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد، إذا ما قورنت بمائة سنة قبل الميلاد؛ فإنها لن تكون قديمة على الإطلاق. لقد كتبت النصوص البابلية والآشورية والأكدية والسومرية على ألواح من الطين المجفف فى الشمس أو الأفران ومن ثم تغدو صلبة جامدة؛ وكتبت النصوص الهيروغليفية على جدران المعابد والمسلات والمقابر المنحوتة من الصخر إلى جانب تلك التى كتبت على ورق البردى. وفى أرض إسرائيل فإنه إلى جانب قلة قليلة من النقوش على الحجر (مثل نقش حزقياه، وبعض أسماء على معاظم دفن العظام المصنوعة من الحجر الجيرى) كانت معظم الكتابات فى إسرائيل تسجل على جلود الحيوانات التى تدبغ جزئيًا لتصير صالحة للكتابة (وهى من الناحية العملية ليست رقوقًا) وعلى دروج ورق البردى المصرى المصنوعة من سيقان نبات البردي. وكانت تلك المواد هشة بطبيعة الحال تتعرض للفساد والتحلل مع الاستخدام والزمن، وخاصة مع المطر والطل وأكل الحشرات والقوارض وعلى رأسها الفئران. وقبل هذا الكشف لم يصلنا من أرض فلسطين مخطوطات أقدم من سنة ١٠٠٠م.

وربما كانت إذن وجوه الدهشة هو وصول مخطوطات ذات كيان فيزيقى لا بأس به أقدم بألف سنة من تلك التى وصلتنا مع ١٠٠٠م، بصرف النظر عن المحتويات نفسها. وعلى عكس النصوص التى وصلتنا من بابل بآلاف الوثائق (عقود بيع، إيصالات ضرائب...) فإن نصوص قمران يغلب عليها الصبغة الدينية. ومن مجموع المخطوطات التى تم كشفها نجد أن ٢٥٪ منها عبارة عن أسفار من العهد القديم أى الكتاب المقدس العبري. وهناك عدد قليل من اللفافات عبارة عن نسخ

من كتب يهودية أخرى؛ وصلتنا فى ترجمات متأخرة حبشية، سلافونية) حيث كانت محفوظة فى كنائس مسيحية مختلفة؛ والآن حصلنا عليها ـ بفضل قمران ـ بالعبرية والآرامية الأصلية (كتب مثل: بن سيرا، توبيت، إينوخ، اليوبيل). ويذكر الثقاة أن ثلثى المخطوطات لم تكن معروفة لنا قبل هذا الكشف الذى جادت به جماعة قمران. وهكذا وصل إلينا المزيد من الكتب اليهودية العائدة إلى فترة المعبد الثانى وأصبح متاحًا للدرس والبحث.

وكما رأينا سابقًا زعم أولبرايت أن تلك المخطوطات سوف تغير فهمنا للخلفية الكامنة وراء العهد الجديد التى تسمى (فترة ما بين العهدين) أى ما بين العهد القديم والعهد الجديد. وللمرة الثانية ليس لأننا لم نكن نعرف شيئًا عن اليهودية فى ظل الحكم اليونانى والرومانى، ذلك العالم الذى خرجت المسيحية من رحمه. لقد وصلنا من قمران سفر ١، ٢ من المكابيين اللذان يقدمان لنا صورة مفصلة عن الأزمة الدامية التى وقعت فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد حيث حاربت اليهودية من أجل الحفاظ على بقائها ووجودها فى وجه الاضطهاد اليونانى حتى قيام أسرة المكابيين بالانتفاضة مملوءة بالحماس والحمية للدفاع عن شريعة الله (قانون موسى) وللتخلص من الاستعباد اليونانى وذلك عن طريق المزج بين المعارك العسكرية والطرق الدبلوماسية وكذلك عن طريق الارتقاء إلى مناصب القسيس أو الكاهن الأعلى وكذلك مناصب الملوك: كل ذلك فى ظل خطة الله وذلك طبقًا لكتب المكابيين. ومن سفر دانيال نستطلع لغة لاهوتية مختلفة قليلًا فى تلك الفترة التى نشبت فيها الأزمة، والحرية التى ستأتى فقط بعد التدخل الإلهى، وبمساعدة بسيطة فى أحسن الأحوال من جانب الحلفاء البشر. وكنا فى دراستنا للتاريخ اليهودى المتواصل تحت حكم الخصم الرومانى حتى الثورة اليهودية الأولى ٦٦ ـ ٧٠م، نعتمد اعتمادا مطلقًا على تقارير جوزيفوس ووصوفاته شديدة التفصيل وهو المؤرخ اليهودى الذى شارك فى الثورة اليهودية الأولى. وكان يكتب تحت رعاية الرومان بعد الهزيمة النهائية لليهود. كذلك وصلتنا العديد من الرسائل الفلسفية من (الدياسبورا: الشتات) وخاصة تلك السلسلة الطويلة من أعمال فيلو

اليهودى السكندرى كما كانت هناك بعض أسفار الرؤيا مثل إينوخ ١، عزرا ٤، باروخ ٢ والتى لم تكن مدرجة فى الكتابات المقدسة والتى عكست آمال وتوقعات جماعات وطوائف هامشية خارج نطاق الطوائف الرئيسية المشهورة.

ولقد قام د. هـ. تشارلز بجمع الأسفار الأبوكريفية وشبه الأبوكريفية لأول مرة وترجمها إلى الإنجليزية فى مجلدين (الأبوكريفا وشبه الأبوكريفا فى العهد القديم). بيد أن قلة من الباحثين هم الذين تنبهوا لمثل هذه الأعمال وتوفروا على قراءتها ودراستها. وكانت الكتب الدراسية المعيارية تعالج فترة المعبد الثانى من خلال عدسات وعيون جوزيفوس والعهد الجديد والربابنة. ولقد كانت طائفة الفارسيين هى الغالبة على المشهد اليهودى وكانت تعاليمهم وتفاسيرهم للقانون (الشريعة) هى السائدة. وكانت طائفة الصدوقيين هى التى تتولى شئون المعبد؛ والحصول من الرومان على أفضل الشروط لصالح اليهود؛ وكانت هناك أيضًا طائفة الإيسينيين وهى طائفة يغلفها الغموض والعزلة عن الناس؛ وربما كانت نوعًا من المدن الفاضلة أو اليوتوبيا تريد أن تظهر لليهود أنهم يمكن أن تكون لهم فلسفة وتصوف وزهد مثل اليونان. وكان أولبرايت على حق عندما قال أن المصادر الخاصة بتلك الفترة يجب أن تعاد كتابتها لأن اللفافات التى سمعنا عنها لأول مرة تقدم لنا صوتًا وصورة أخرى. ففى شرح حبقوق نسمع من اليهود الذين عاصروا وشهدوا المكابيين أنهم ليسوا كمخلصين أمجاد ولكن كقسيسين أوغاد، رجال فاسدون فجرة أصحاب ثروات غير مشروعة، الذين سطوا على القسية وسيطروا على خدمة المعبد. وعلى الرغم من أننا حصلنا على هذه المواد من الكهف رقم ١ فقط، إلا أن هذه الوثائق كانت تعكس مواقف الصراع المدبر على القسية والمعبد وتفسير التوراة والتقويم (وعلى سبيل المثال فى شرح حبقوق يبدو القسيس الوغد وهو يحتفل بيوم التكفير فى يوم مختلف عن يوم احتفال مؤلفى الشرح). ومن الواضح أن يهودية القرن الأول الميلادى كانت تختلف وأكثر تعقدًا مما افترض الباحثون واعتنقوا.

السنوات ١٩٤٧-١٩٥٧ فى حياة المخطوطات:

دعنا نقفز الآن مباشرة من إعلانات ١٩٤٨م إلى ربيع ١٩٥٧م ونلقى السؤال ما

هى الأحداث التى وقعت فى الفترة ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧م أى السنوات العشر الأولى من بدء الاكتشاف.

مع سنة ١٩٥٧ كانت المخطوطات السبع التى تم كشفها فى الكهف رقم ١ قد قرئت وترجمت وصوّرت وأتيحت للباحثين فى جميع أنحاء العالم حيث قام الدكتور سوكنيك بطرح بعض «مزامير تقديم الشكر» الجيدة بالفعل سنة ١٩٤٨ و١٩٥٠ بالعبرية وكانت بسرعة قد ترجمت إلى لغات مختلفة. وكان من بين تلك اللغات ترجمة لاتينية سنة ١٩٥٠. وكان البروفيسور سوكنيك قد أعد للنشر المخطوطات الثلاثة الأخرى التى فى حوزته وهى: عيسياه وتقديم الشكر ومخطوطة الحرب وهى جميعًا بالعبرية مع الترجمة الإنجليزية. وكان سوكنيك قد أعدها للنشر قبل وفاته سنة ١٩٥٣ ونشرت بعد وفاته فى العام ١٩٥٤ / ١٩٥٥. أما المخطوطات الأربعة التى كانت فى حوزة دير سانت مارك فقد أخذت إلى الولايات على ما المحت سنة ١٩٤٨ وبقيت هناك حتى بيعت لإسرائيل سنة ١٩٥٤ بيد أن الصور الشمسية الرائعة التى أخذت لها من قبل على يد جون تريفيد كانت قد نشرت بالفعل سنة ١٩٥٠/ ١٩٥١. ولم تأت سنة ١٩٥٧ حتى صدرت طبعات من كل هذه النصوص الكبرى مع شروح كاملة لكثير منها ولم يلبث الأمر أن أتيحت هذه النصوص بكل اللغات الحديثة. تلك الحقيقة لا بد من التأكيد عليها لأنه كان هناك اعتقاد بين الباحثين بعد قرار (الإفراج عن اللفافات) فيما بعد سنة ١٩٩٠، أنه كان هناك نوع من الحظر أو التمويه حول تلك المخطوطات وأنه لم يكن هناك شيء متاح للباحثين قبل ذلك التاريخ.

بالإضافة إلى ذلك فإنه مع سنة ١٩٥٧م كانت كافة الكهوف التى تضم المخطوطات قد تم كشفها فى منطقة البحر الميت وما حولها. وكان المسح الفعلى الكامل للكهف رقم ١ قد تم فى مطلع ١٩٤٩ على نحو ما أسلفت على يد مصلحة الآثار الأردنية التى قامت بمسح علمى لنفس الكهف وعثرت على مواد هامة لم يتوصل إليها بدو ١٩٤٧ عبارة عن ٧٢ قطعة مخطوطات و٦٧ جرة وغطاءات جرار. أما الكهوف العشرة الأخرى الذى ضمت مواد مخطوطة فقد تم كشفها على

يد الأثريين وعلى يد البدو بصفة خاصة الذين كانت لهم خبرة خاصة بالمنطقة الصحراوية. وكان الكهف رقم ٤ هو المكتبة الحقيقية والتى تستحق وقفة خاصة رغم أن الأثريين لم يلقوا إلا بالًا عابرًا للشرفة الطينية الموجودة بأعلى الأطلال بيد أن البدو تذكروا كبار السن وهم يحكون عن فتحة فى (كهف الحجل) الذى تم اكتشافه فى أغسطس ١٩٥٢ ولقد وجد بداخله كهفان صناعيان وحيث عثر البدو فيه على أكبر كمية مخطوطات وقطع مخطوطة وهى فى حقيقة الأمر آلاف من القطع الصغيرة المخطوطة وقطع أخرى ممزقة فى حالة سيئة ومبعثرة فى أرضية الكهف ولم يكن من بينها لفافة كاملة كما كان الحال فى الكهف ١ وليس من بينها أيضًا مخطوطة مغلفة فى كتان أو فى جرار.

وباستثناء (مخطوطة المعبد) المكتشفة فى الكهف ١١ (التى عثر عليها سنة ١٩٥٦ مخبأة لدى دلال عاديات لعشر سنوات أخرى، أغلت الكهوف الإحدى عشر نحو ٥٠١٠٠ قطعة ونحو ٩٠٠ مخطوطة كانت جميعها فى يد مصلحة الآثار الأردنية مع سنة ١٩٥٧م وفى خلال أسابيع من كشف الكهف رقم ٤ بدأ البدو يحضرون صناديق وحقائب مملوءة بقطع المخطوطات إلى مدرسة دراسة الكتاب المقدس ومتحف الآثار الفلسطيني. وكانت الحكومة الأردنية قد رصدت ١٥٠٠ دينار لشراء المخطوطات وحيث كانت القطعة الواحدة تباع من البدو للحكومة بدينار واحد (٢.٨ دولار) للسم المربع الواحد حتى لا يقوم البدو بتقطيع اللفافات إلى قطع من أجل الحصول على المزيد من المال؛ وقد تم الحصر المبدئى لكل المواد المكتشفة سنة ١٩٥٦. وكانت المواد التى اكتشفت فى الكهوف الأخرى تقع فى نفس الفئات الموجودة فى الكهف الأول: نصوص من الكتاب المقدس، نسخ من الأسفار المزورة (أبو كريفا) المعروفة لنا، وكذلك أشباه الأبوكريفا وأعمال لم تكن معروفة لنا من قبل مثل التراتيل والصلوات، تقاويم، شروح وتفاسير للكتاب المقدس، حكم وأمثال، تعاليم وقواعد شرعية، تكريسات، قائمة الكنوز المخبأة والممتلكات العامة.

وقد أدركت الحكومة الأردنية بسرعة أنها فى حاجة إلى دعم مالى وبشرى كبير

كى تستطيع التعامل مع ضخامة المشروع ولكى تحصل على الدعم البشرى قامت بتوجيه دعوة إلى المؤسسات الأكاديمية العالمية لإرسال شباب الباحثين للعمل فى المشروع فى القدس؛ وقد شكل هؤلاء الباحثون ما عرف باسم «الفريق الدولي» وكان على رأس هذا الفريق:

١- جوزيف ت. ميليك (بولندي/ فرنسى).

٢- موريس بيليت (فرنسى).

٣- جين ستاركى (فرنسى).

٤- كلاوس. هونو هونتزنجر (ألمانى).

٥- فرانك مور كروس (أمريكى).

٦- باتريك سكيهان (أمريكى).

٧- جون أليجرو (بريطانى).

٨- جون ستروجنيل (بريطانى).

وكان هذا الفريق يعمل تحت إشراف (رونالد دى فوكس) من مدرسة الكتاب المقدس. ويؤكد بعض الدارسين أنه فى زماننا المتداخل المعقد فإن من السهل أن ننسى أن أحد الجوانب الثورية فى المنافسة الدولية وتشكيل هذا «الفريق الدولي» أن باحثين كاثوليك وبروتستانت كانوا بالفعل يعملون معًا فى دراسة (الكتاب المقدس).

ومع ١٩٥٧ كانت هناك جماعة من الباحثين تعمل يوميًّا فى فرز وتصنيف ومقابلة وفهرسة وترميم المخطوطات والقراءات المبدئية لآلاف القطع الممدودة على مناضد طويلة فى قاعة سميت (قاعة اللفافات) فى المتحف الفلسطيني. وبطريقة عملية وألمعية غير تقليدية، وضع هؤلاء الباحثون أسس الدراسة المستقبلية للفافات. وعلى الرغم من إضافة العديد من القطع المخطوطة من حين لآخر وإن كانت قطعًا صغيرة إلا أن مرور العقود قد أثر يقينًا على اللون والنسيج وكرمشة

تلك القطع سواء كانت جلودًا أو برديات وإن لم تضف تلك القطع الجديدة أية مادة علمية إلى ما اكتشف من قبل. وتشيد المصادر الثقاة بمهارة المصور الأرمينى (نجيب أنطون ألبينا) الذى صور المخطوطات تصويرًا فوتوغرافيًا رائعًا ساعد فى تيسير قراءة النصوص إلى أبعد حد؛ وما تزال حتى اليوم صالحة جدًا للقراءة. وكانت جودة التصوير لا نظير لها حتى مع التقنيات العالية فى التصوير أيامنا الحالية؛ ومعدات التصوير شديدة التعقيد التى تستخدمها إدارة الآثار الإسرائيلية والمصورون الأجانب.

لقد شهد العقد الأول ١٩٤٧ – ١٩٥٧ خمسة مواسم أثرية فى موقع الأطلال بالقرب من الكهوف تحت إشراف رونالد دى فوكس من مدرسة دراسة الكتاب المقدس والأثرى الفرنسى وكذلك د. لا نكستر هاردنج من مصلحة العاديات الأردنية. وكانت دوافع دى فوكس التنقيب والحفر فى أطلال مركز حياة مجتمع قمران الذى عاش فيه مع النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد وحتى تدميره بقسوة وعنف على يد القوات الرومانية سنة ٦٨/ ٦٩م، كانت دوافعه اعتقاده فى أنهم هم أصحاب مخطوطات الكهوف ومن ثم كان يبحث عن قرائن تؤكد هذا الاعتقاد على نحو ما قال به فى محاضراته سنة ١٩٥٩ فى الأكاديمية البريطانية فى لندن. وبعد معركة ضارية وإن كانت قصيرة حول تاريخ اللفافات هل هى فعلًا قديمة أم وسيطة، جاءت نتائج كربون ١٤ الذى أجرى على قطع الكتان التى عثر عليها فى الكهف ١، مؤكدة على أن تاريخ اللفافات يتأرجح ما بين القرن الثانى قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي.

يضاف إلى كل ما سبق كان البحث يقوم على قدم وساق للوصول إلى العلاقة بين المخطوطات والمجتمع الذى كان موجودًا فى قمران، وخلص البحث الذى بدأ مع سنة ١٩٥٧م إلى أن أصحاب المخطوطات إن هم إلا الإيسينيون الذين أعلن عنهم البيان الأول الذى أصدرته المدارس الأمريكية للبحث الشرقي. لقد قام «جيزا فيرميز» فى رسالته للدكتوراه سنة ١٩٥٣ برسم الخطوط العامة العريضة لما عرف بـ «نظرية الإجماع» أو «فرضية الإيسينيين» والتى تم تعميمها ونشرها فى كتابين

صدرا فى الفترة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٩م للباحث ج. ت. ميليك والباحث ف.م. كروش حيث قررا أن مؤلفى لفافات البحر الميت إن هم إلا جماعة متحدرة من اليهود خرجت إلى الوجود عقب النضال مع الهللينية فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ومعارضة الحاسمونيين فى مسألة القسية والتقويم. وقد أكدت «فرضية الإيسينيين» على ملامح معينة تحت تأثير وصدمات جوزيفوس وفيلو وكذلك العديد من المخطوطات المكتشفة، من بين تلك الملامح: التبتل والعزوبة، والحياة الجماعية العامة (الديرية)، والإيمان ببعض العناصر الهامة مثل الاعتقاد فى الآخرة وتوقع قدوم المسيح والتى انطبقت على أوصاف الإيسينيين فى المصادر القديمة. ولكن فى مصادر أخرى وتفاسير مختلفة كانت الطائفة تقتنى العبيد ـ وهو ما يتعارض مع خصائص مجتمع قمران ـ وكانت كل نظرية من النظريتين تقدم دفوعها حول أصول تلك اللفافات بحماس شديد فى خلال العقد الأول من حياة الكشف. وكان هناك زعم بأن مؤلفى هذه المخطوطات هم الصدوقيون أو الفارسيون أو الزيلوت فى مقابلة الزعم الأقرب للصحة وهى طائفة قمران، وقد استبعد تمامًا أن يكون المسيحيون هم أصحاب هذه المخطوطات.

لقد شهدت السنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧م أكبر قدر من البحث حول العلاقة بين المخطوطات من جهة والإسيينيين والمسيحيين من جهة ثانية بدءًا من سؤال «هل عاش عيسى فى قمران»، وانتهاء بزعم أن معلم الاستقامة هو الذى صلب بل وبعث أيضًا، وقد انتهى ذلك العقد بنشر عدد كبير من المقالات جمعت بعد ذلك فى مجلد ضخم ونشر سنة ١٩٩٢ تحت عنوان (اللفافات والعهد الجديد). وهذا المجلد ما يزال قويًا فى تحديد المجالات الرئيسية فى مناقشة العلاقة البينية بين المخطوطات والعهد الجديد ودراساته: التوقعات المسيحية والوجبات الجماعية، النظام الكنسى، المصطلحات اللاهوتية، دور يوحنا المعمدان. وإلى جانب هذه المقالات ظهرت مقالات نصوص جديدة وخاصة تلك التى نشرت فى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، مما يمكن أن يكمل المجلد المشار إليه. ولكن القضايا الأساسية حول اللفافات والمسيحية كانت هى المحور الأساسى هنا أيضًا.

ومع ١٩٥٧ كانت قيمة الـ ٢٠٠ مخطوطة المتعلقة بالكتابات المقدسة قد تم الاعتراف بها وبأهميتها رغم أن قلة منها هى التى كانت قد نشرت حتى تلك السنة بالكامل. وقد أشار أولبرايت سنة ١٩٤٨م إلى أن نظام نقد النصوص بأكمله يحتاج إلى إعادة تفكير على أساس القرائن الجديدة التى ظهرت فى مخطوطات قمران والتى كتبت بزمان طويل قبل تقنين النص المازوري. لقد كان نظام نقد النصوص يقرأ مخطوطات صموئيل فى مطلع خمسينات القرن العشرين وخاصة نسخ صموئيل التى خرجت من كهف قمران التى اعتبرت أساسًا للنص المازورى والترجمة السبعينية، بما ساعد فرانك مور كروس لوضع مخطط لنظرية جديدة أصلية حول الأصل الجغرافى للنصوص المحلية. ومن جهة ثانية قام ميلار بوروز وبطريقة عملية خالصة، خلال رحلته البحرية من إسرائيل إلى بلده صيف ١٩٤٨م بتحديد العلاقة بين مخطوطة عيسياه الكبيرة والنص المازورى وكانت النتائج التى توصل إليها قد وضعتها (لجنة مراجعة صيغة المعيار المنقح) والتى تبنت ١٣ قراءة مختلفة من مخطوطة عيسياه للمعيار المنقح.

وكانت حصيلة العقد الأول (١٩٤٧ ـ ١٩٥٧) لدراسة المخطوطات ١٥٥٠ كتابًا علميًا بحثيًا ومقالة علمية كتبها ٦١٦ مؤلفًا بائنتين وعشرين لغة، وكذلك العدد الأول من دورية جديدة مخصصة بالكامل لدراسة اللفافات (مجلة قمران) الذى كان تحت الإعداد. كما قامت جامعة إكسفورد بإعداد سلسلة رسمية بعنوان: «اكتشافات فى صحراء يهوذا» وذلك لنشر طبعات محققة تحقيقًا علميًا من كافة مخطوطات البحر الميت. وظهر العدد الأول من السلسلة سنة ١٩٥٥ وكان مجلدًا يحمل قطعًا مخطوطة من الكهف رقم ١.

السنوات ١٩٥٧ـ١٩٦٧ فى حياة المخطوطات

دعنا نقفز إلى ١٩٦٧ ونعود أدراجنا للخلف، وحيث كان لحرب ١٩٦٧م أثرها العنيف على مخطوطات البحر الميت وحيث تسببت هذه الحرب فى تشتت أعضاء (الفريق الدولى) فى أنحاء متفرقة من العالم ليتولوا مناصب جامعية فى دول أمريكا الشمالية وأوربا وحيث كانت أموال منحة روكلفر التى كانت تدعم عمل هؤلاء

الباحثين قد قاربت على النفاد مع صيف ١٩٦٠ ومنذ ذلك الوقت ارتد الاهتمام بالمخطوطات إلى مرتبة تالية وأصبح العمل مع المخطوطات ينافس كافة الاحتياجات الأخرى للحياة الأكاديمية والتدريس والبحث. ولكن قبل أن يتشتت هؤلاء العلماء كانوا قد أنجزوا الشيء الكثير وحيث كانت القطع المخطوطة قد فرزت وصنفت ووضعت بين دفتى زجاج (ولسوء الحظ كانت القطع المفردة تثبت بالأشرطة الإسكتدلندية اللاصقة) وحيث تم ترتيب ٦٢٠ لوحًا من القطع المخطوطة ورقمت إلى جانب ٢٥ لوحًا لم يكن قد تم التعرف على قطعها المخطوطة بعد. ولحسن الحظ أن غالبية تلك القطع قد تمت قراءتها بدقة. ونقلت النصوص على بطاقات بخط اليد الذى سجلت به كل كلمة وقد تم هذا الأمر فى الفترة من ١٩٥٧ وحتى ١٩٦٠. تلك البطاقات تم الاحتفاظ بها فى درج كبير فى «قاعة اللفافات» التى كان يتردد عليها أعضاء الفريق الدولى والذين يأتون إلى القدس. وفى سنة ١٩٨٨م تم تصويرها ونشرها نشرًا خاصًا. وكانت هذه الأدوات قد خدمت كمصدر لا يقدر بثمن للعديد من المحررين الذين توفروا على إعداد نصوصهم للنشر.

ورويدًا رويدًا وببطء شديد تم تحرير العديد من اللفافات ومن ثم إتاحتها للباحثين والقراءة بطرق مختلفة، أحيانًا فى صيغ مبدئية كمقالات فى الدوريات، وأحيانًا فى كتب مما أتاح المزيد من النصوص للقراءة والمناقشة فى تلك السنين وتم توسيع سلسلة (اكتشافات فى صحراء يهوذا) الرسمية فصدرت سلسلة رقم ٢ سنة ١٩٦١ لتنشر اكتشافات وادى المربعات، وصدرت السلسلة الثالثة أى رقم ٣ سنة ١٩٦٢، لتضم اكتشافات الكهوف الصغيرة ٢، ٣، ٥-١٠، وصدرت السلسلة رقم ٤ سنة ١٩٦٥ لتنشر مخطوطة المزامير من الكهف رقم ١١ وهو مخطوطة رائعة تضم مزامير مقدسة وأخرى من خارج الكتاب المقدس، وأعدت السلسلة رقم ٥ للنشر سنة ١٩٦٦ وصدرت بالفعل سنة ١٩٦٨م لتضم المجلد الأول من مواد الكهف رقم ٤ الذى يحتوى على ما حدده جون أليجرو من شروح وتفاسير الكتاب المقدس. وكان ذلك العقد هو وقت بلورة الجهود واستخراج الاستبصارات

الأساسية من العقد السابق. وعلى سبيل المثال وضع تصور نظام كامل للدراسة الباليوجرافية والذى ما يزال مستخدمًا حتى اليوم فى تأريخ المخطوطات، وكذلك صدور دراسات أكثر تحديدًا حول العلاقة بين اللفافات والعهد الجديد وخاصة إنجيل بولس وإنجيل يوحنا.

وكانت احتفالات الذكرى العشرين للاكتشاف باهتة ولم تلق إلا اهتمامًا محدودًا ربما بسبب ما أحدثته حرب ١٩٦٧ من تغييرات جغرافية وحيث احتلت إسرائيل كل الضفة الغربية والجولان وغزة وسيناء، وقد سيطر القتال على أرضية متحف الآثار الفلسطينى ومن ثم خططت إسرائيل للإستيلاء على كل مواد قمران من (قاعة اللفافات) التى كانت قد صندقت لنقلها إلى عمّان (رغم أنها لم تغادر المتحف أبدًا)؛ وبينما كان هناك عدد قليل من القطع من بينها قطعة قديمة جميلة من سفر صموئيل من قمران ٤ معروضًا فى قاعات العرض واختفت تمامًا فى ذلك الوقت. ولما كانت الحكومة الأردنية قد أممّت المتحف من عدة شهور قبل الحرب (نوفمبر ١٩٦٦) وبعد الاحتلال أصبحت اللفافات والمتحف تحت سيطرة إدارة الآثار الإسرائيلية والتى سمحت للفريق الدولى بالاستمرار فى عمله كما كان من قبل.

السنوات ١٩٦٧ـ١٩٧٧ فى حياة المخطوطات

شهدت هذه السنوات هبوطًا حادًّا فى كمية الدراسات المتعلقة بمخطوطات قمران وحيث توفى رونالد دى فوكس سنة ١٩٧١ وتعيين بيير بنوات ـ وهو رجل دين دومنيكان ـ محررا لسلسلة (اكتشافات فى صحراء يهوذا) سابقة الذكر وكان يعمل مع فريق اللفافات الدولي. يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية المتغيرة وحيث لعبت كل هذه العوامل دورًا فى هبوط دراسات المخطوطات. وكان اليوبيل الفضى لاكتشاف المخطوطات (١٩٤٧ ـ ١٩٧٣) قد أغل عددًا من الدراسات المسحية والمراجعات العلمية وكان من بينها واحدة من أولى الأعمال التى تناقش تأثير اللفافات على الدراسات اليهودية بصفة خاصة، ولم تظهر أية أعداد جديدة من سلسلة الاكتشافات حتى نهاية العقد ١٩٧٧ حين صدرت السلسلة رقم ٦. كما قام ميليك بنشر القطع الآرامية من سفر إينوخ سنة ١٩٧٦. وكان قد وضع فى هذا

العمل نظريات علمية جديدة تتصل بهذا الكشف، أثارت الكثير من الجدل. ولكن ربما كانت المفاجأة التى شدت انتباه الباحثين هى زعم عالم البرديات الأسبانى خوزيه أوكالاهان، إن بعض القطع المخطوطة اليونانية التى عثر عليها فى الكهف رقم ٧ إن هى إلا نسخ من نصوص العهد الجديد. وقد استغلت وسائل الإعلام العامة وخاصة الرابطة المسيحية ذلك الزعم باكتشاف جزء من تيموثى أو قطع من أعمال الرسل وقطع من بطرس ٢ وترجع إلى ما قبل ٦٨ م للترويج لمفاجأة خوزيه أو كالاهان. وقد أكد الباحثون الثقاة أن أيًا من القطع التى عثر عليها فى كهف ٧ قمران وزعم أن لها علاقة بفقرات العهد الجديد لم تثبت حتى الآن تلك العلاقة بأى قدر من اليقين، رغم أن هذه القضية تثار من حين لآخر بصفة دورية.

وبصرف النظر عن تلك الإلماعات فى سماء مخطوطات قمران، فقد بلور مايكل نيب البروفيسور فى جامعة لندن الشعور الذى ساد تلك الفترة والتى ضمنها سنة ١٩٧٧ بمقالة اعتبرت علامة على تلك الفترة:

«لقد مر حتى الآن نحو ثلاثين عامًا على اكتشاف مخطوطات البحر الميت لأول مرة... وبعد هذا الكشف العظيم ليس هناك شيء صارخ يمكن وصفه وليس هناك كشف مثير جديد وليس ثمة كتاب جديد ألمعى يقدم لنا مفاتيح التفسير... لقد بدأت المخطوطات تسقط فى بئر من النسيان العلمى النسبى وربما كان ذلك بسبب كشوف الألواح الطينية فى إيبلا التى خطفت الأضواء.

السنوات ١٩٧٧-١٩٨٧ فى حياة المخطوطات

لقد كانت تلك السنوات هى الأخرى من فترات «الأشياء الصغيرة»، وحيث ساد السكون والعزلة التى كانت موجودة فى الفترة السابقة هذه الفترة أيضًا رغم أن رياح التغيير كانت قد بدأت مع نهاية هذه الفترة. فى مطلع الثمانينيات بدأنا نسمع عن نظريات جديدة مختلفة اختلافًا جذريًا عن النظريات السابقة، حول أصل اللفافات والمجتمع/ المجتمعات التى أنتجتها وعلى سبيل المثال أنكر نورمان جولب وجود أية علاقة عضوية متكاملة بين أطلال خربة قمران ـ التى اعتبرها مقرًا لطائفة الحاسمونيين وقلعة لهم ـ ومجموعة المخطوطات التى اعتقد أنها جلبت من أورشليم

القدس وخبئت فى كهوف البحر الميت. أما روبرت آيزنمان فقد أعاد بناء حركة ثورية مسيحية تضمنت يوحنا المعمدان وعيسى وجيمس (باعتباره معلم الاستقامة)، تلك الحركة التى تسببت فى صراع دام ضد قوة الإمبراطورية وبولس رجل الكذب. وقد أثارت أفكار جولب جدلًا واسعًا على مدى عقدين من الزمان ورغم أنه قد وضع أيدينا على عدد من المشكلات الحقيقية حول المخطوطات وفى البنيوية التقليدية إلا أن فرضيته قد فشلت هى الأخرى فى الإحاطة الكاملة بالموضوع. وعلى الجانب الآخر نجح آيزنمان فى اجتذاب انتباه سلسلة من الصحفيين الذين نشروا أفكاره بين العامة فى وسائل الإعلام الشعبية بينما لم يحقق الرواج المطلوب بين الأوساط الأكاديمية.

لقد أعطت النصوص الجديدة حياة جديدة أكثر خصوبة للمخطوطات وخاصة بعد نشر (مخطوطة المعبد) وهى أكبر مخطوطات قمران طولًا إذ أنها أطول بمتر من النسخة الكاملة من مخطوطة عيسياه. وحيث هذه المخطوطة تصف بالتفصيل الدقيق الشامل القواعد والتنظيمات المتعلقة ببناء المعبد والمنطقة المحيطة به وقوانين الأضحيات والتكريسات وشعائر التطهر ومظاهر النجاسة وقربانات الأعياد والاحتفالات، قوانين الملك والشهادة والأيمان وقواعد الحرب والزواج. وقد اشترى إيجال يادين هذه المخطوطة (أو استولى عليها غصبًا) خلال حرب الأيام الستة (١٩٦٧) ونشرها بالعبرية ١٩٧٧ ثم بالإنجليزية الأوسع انتشارًا سنة ١٩٨٣. ويظل هذا العمل حتى اليوم (٢٠١٣) واحدًا من أكثر مخطوطات قمران غموضًا؛ وإن كانت هذه المخطوطة قد فجرت قضيتين من أهم القضايا المركزية بالنسبة لمجتمع قمران والدراسات التى تدور حوله: ١- الأهمية القصوى للمادة الشرعية (القانونية) الموجودة بها إلى جانب المادة المتعلقة بالآخرة واللاهوت. والتى كانت محور تركيز وتأكيد وخاصة من جانب الباحثين فى المسيحية. ٢- الاعتراف بأنه ليس كل ما وجد فى الكهوف جاء بالضرورة من نفس المكان. وعلى الرغم من أن إيجال يادين قد نسب مخطوطة المعبد إلى الإيسينيين إلا أن باحثين آخرين رصدوا فروقًا ذات بال فى طريقة التفكير وفى التنظيم القانونى مما يشى بمكان آخر كمنشأ

لهذه المخطوطة (على الرغم من أن المخطوطة قد شقت طريقها إلى الكهف رقم ١.١). وقد أدى ذلك بالضرورة إلى ظهور جدل واسع النطاق حول هذا الأمر. ونحن اليوم نميز بين نوعين من الأعمال بين المواد المكتشفة: أعمال طائفية أى تتعلق بطبيعة الطائفة وتستخدم فيها مصطلحات مميزة ونظرة أيديولوجية وإشارات واضحة إلى البنية التنظيمية للجماعة وإلى معلم الاستقامة وتجنب ذكر أسماء الله؛ وأعمال غير طائفية وهى فى الأعم الأغلب صلوات، حكايات من البلاطات، أسفار الأنبياء، إعادة صياغة وقص مواد من الكتاب المقدس وكثير منها كتب بالآرامية والتى لا تعكس فى الأعم الأغلب أية خصائص أو سمات طائفية ومن ثم يمكن أن تنسب إلى (اليهودية العامة) على الرغم من أن مجتمع قمران كان يعتبرها من الأدوات الهامة فى حياته ومن ثم شغلت ركنًا هامًا فى مكتبته. وهذه الكتب غير الطائفية وكثير منها تم وضعه فى القرون الرابع والثالث والثانى قبل الميلاد تعتبر من وجهة نظر الباحثين نافذة هامة نطل منها على الحقبة الفارسية المتأخرة والهللينية الباكرة وهى حقبة يهودية لا نعرف عنها الكثير.

فى سنة ١٩٨٢ صدر مجلد هام (السابع) من سلسلة (اكتشافات فى صحراء يهوذا) وتستحق الافتتاحية التى كتبها رئيس التحرير موريس بيليت وقفة منا: إنها صرخة عاطفية ومن الأعماق تحمل إحساسًا بما نشعر به نحو العمل الطويل الشاق عبر سنوات طويلة مع آلاف من القطع المخطوطة الصعبة فى ظل ظروف سياسية وشخصية بالغة القسوة. وقد تضمن هذا المجلد تحقيقًا ونشرًا ودراسة لست أو سبع قطع من مخطوطة الحرب. وهذه القطع للوهلة الأولى هى أقل أهمية من النسخة الكاملة لمخطوطة الحرب الكاملة التى عثر عليها فى الكهف الأول. وهذه القطع لم تكن نسخًا من هذه المخطوطة ولكنها صيغ أخرى مختلفة جدًا من مخطوطة الحرب. وهكذا أصبحت لدينا فكرة عن العملية المعقدة التى غلفت إعداد (مخطوطة الحرب) نصًا ولفافة. ولقد قدم هذا المجلد السابع فى السلسلة نوعًا جديدًا من المواد المتعلقة بشعائر مجتمع قمران حيث نشر بيليت مجموعات من صلوات كل يوم (قمران ٤: ٥٠٤ ـ ٥٠٦)، صلوات كل يوم من أيام الشهر (قمران ٤: ٥٠٣)،

صلوات الأعياد الكبرى (قمران ٤: ٥٠٧ ـ ٥٠٩)، ترانيم إرهاب وتخويف الأرواح الشريرة والشياطين (قمران ٤: ٥١٠ ـ ٥١١)، طقوس التطهر (قمران ٤: ٥١٢)، طقوس الزواج (قمران ٤: ٥٠٢).

ولقد شهدت السنوات ١٩٧٧ ـ ١٩٨٧ جهودًا كبيرة لزيادة عدد الأفراد الذين يعملون فى نشر مخطوطات قمران. فى ذلك العقد أصبح جون ستروجنيل نائب بنوات وخليفته بعد ذلك فى رئاسة تحرير (الفريق الدولى). وبناء على مبادرة من ستروجنيل تم إعداد جيل جديد من الباحثين الإسرائيليين المدربين على أعمال النشر. وكان من بين هؤلاء: إيمانويل توف، إليشا كويمرون، ديفوراه ديمانت. وكان ستروجنيل وكروس يعهدان إليهم ببعض المخطوطات لإعداد الطبعة الأولى. ومن ثم فإنه فى تلك السنوات ظهر إلى النور المزيد من النصوص المنشورة المتاحة للباحثين ليس فقط فى السلسلة الرسمية وإنما أيضًا كرسائل وأطروحات جامعية ومطبوعات أولية. وكان من بين الأعمال المثيرة التى نشرت فى تلك السنوات بحث قُدِم إلى «المؤتمر الدولى حول آثار الكتاب المقدس فى القدس» سنة ١٩٨٤ وقد قدم هذا البحث القصير إليشا كويمرون وجون ستروجنيل وكان بعنوان (خطاب قانونى غير منشور من قمران). وقد شد انتباه الحاضرين وآثارهم إثارة كبيرة للغاية إعلان الباحثين عن عزمهم نشر وثيقة تعطى معلومات جديدة عن تأسيس الطائفة وقد جاءت من قمران ٤. وقد أعلن الباحثان أن لديهما خطابًا من زعيم قمران (ربما من معلم الاستقامة) إلى زعيم المعارضة يتعلق ببعض الفروق الدقيقة المتعلقة بتفسير الشريعة «بينكم» و«بيننا» وكانت النتيجة «أننا انعزلنا عن جموع الشعب». وبصرف النظر عن محتويات هذه الوثيقة فقد كان الهم هو الشوق والترقب لما تحتويه آلاف القطع التى لم تنشر بعد.

السنوات ١٩٨٧ـ١٩٩٧ فى حياة المخطوطات

عندما نأتى إلى سنة ١٩٨٧م التى يبدأ بها العقد الخامس والسنوات التى تلتها سوف نجد أن هذا العقد كان عقدًا محوريًّا فى قضايا الإتاحة وسرعة النشر. وفى سنوات سابقة على تلك الفترة حذر جيزا فيرميز من جامعة اكسفورد من أنه إذا لم

تتخذ خطوات سريعة للتحقيق والنشر فإن أعظم المخطوطات العبرية والآرامية وأكثرها قيمة التى تم اكتشافها ستصبح فضيحة أكاديمية بكل المعايير بل أكبر قضية علمية فى القرن العشرين. ولكن فى ١٩٧٧ مرت كلماته مرور الكرام وكما رأينا فى العقد الرابع كان النشاط المتعلق باللفافات محدودًا (١٩٧٧ ـ ١٩٨٧). ولكن مع العقد الخامس الذى نحن بصدده كان جيل جديد من باحثى مخطوطات البحر الميت قد ظهر وكان الموقف السياسى الدولى قد تغير كلية مع سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتى وتحطيم سور برلين. وكأن الاحتفال بالذكرى الأربعين للاكتشاف قد تحول من الفضيحة الأكاديمية التى قال بها جيزا فيرميز إلى دراما كاملة تم تمثيلها على صفحات (مجلة آثار الكتاب المقدس)، جريدة نيويورك تايمز، بل وحتى مجلة (المتسائل الوطنى) وكشفت عن العديد من الأسباب الكامنة خلف تأخير التحقيق والنشر. وقد قيل ساعتها أنها «مؤامرة من الفاتيكان» وقيل إنها «حماقة المحررين والمحققين» ولكن هناك من رأى أنها أسباب مالية ومسألة وقت وأنها إخفاق فى تقدير حجم العمل وتدفق القطع المخطوطة والصعوبات التى واجهت القيام بالمهمة، ويتهكم البعض بأنه كانت هناك أسباب شخصية مثل إدمان الكحوليات والأمراض المزمنة. وفى سنة ١٩٩٠م أزيح جون ستروجنيل من منصبه وعين إيمانويل توف من الجامعة العبرية بالقدس رئيسًا للتحرير وإلى جانبه المساعدان: إيميل بوتيسن من مدرسة دراسة الكتاب المقدس ويوجين أولريخ من جامعة نوتردام (الذى تحمل مسئولية المواد المتعلقة بالكتاب المقدس. وقد تصاعدت الأحداث وتسارعت لتبلغ قمتها فى خريف سنة ١٩٩١ وتبلورت فى إعلان مصلحة الآثار الإسرائيلية فى الكنيست فى السابع والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٩١ رفع الحظر المفروض على الاطلاع على المخطوطات وتصويرها.

وبعد هذه الدراما التى احتلت الفترة الانتقالية القصيرة ١٩٩٠/ ١٩٩١، بدأ العمل فى نشر نصوص قمران بهمة ونشاط وحماس.. لقد أتيحت المخطوطات لكل الباحثين فى جميع أنحاء العالم ليس بسبب أحداث ١٩٩١ فقط ولكن مع نشر وإتاحة نسخ ميكروفيلمية سالبة من المخطوطات سنة ١٩٩٣ وكشاف أيضًا لتلك

النسخ الميكروفيليمة. ويمكن لأى باحث أن يحصل على نسخة من الميكروفيش الكامل بمبلغ ٩٠٠ دولار مع العلم بأن عدد اللوحات المحملة يبلغ ٦٢٦٩ لوحة محملة على تلك المصغرات الفيلمية. ولقد لقى هذا النشر المصغر ارتياحًا كبيرًا بين الأوساط العلمية والإعلامية وحيث تصدرت بعض اللوحات الصفحات الأولى من جريدة نيويورك تايمز على سبيل المثال. وكان من المتوقع أن يحدث تزاحم على تحقيق ونشر هذه المواد، إلا أن هذا التزاحم لم يحدث وبقى بحث ودراسة وتحقيق ونشر المخطوطات محصورًا فى يد عدد قليل من الاختصاصيين. ومن ثم قام إيمانويل توف بإعادة توزيع العمل فى المواد المتبقية بين ٥٣ من الباحثين كل منهم كان مسئولًا عن إعداد وتحقيق مخطوطة أو أكثر لتنشر فى سلسلة (اكتشافات من صحراء يهوذا).

لقد كان من ملامح العقد الخامس (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧) سلسلة المؤتمرات الدولية العلمية التى عقدت على فترات سنوية أو كل سنتين والتى بدأت بمؤتمر نيويورك لتكريم ذكرى إيجال يادين ١٩٨٥) ثم مؤتمر الذكرى الأربعين لاكتشاف المخطوطات والذى عقد فى أكسفورد (١٩٨٧) ثم مؤتمر حيفا (١٩٨٨) وبعده مؤتمر جروننجن (١٩٨٩) يليه مؤتمر مدريد (١٩٩١) ثم مؤتمر نوتردام (١٩٩٣) فالقدس (١٩٩٤) وأخيرًا فى ذلك العقد مؤتمر بروفو (١٩٩٦) ثم المؤتمر الضخم الذى توج كل مؤتمرات العقد والذى عقد فى القدس سنة (١٩٩٧) بمناسبة الذكرى الخمسين للاكتشاف الكبير. لقد أنشئت فى هذا العقد أيضًا (المنظمة الدولية لدراسات قمران) التى كانت تعقد اجتماعاتها كل ثلاث سنوات اعتبارًا من ١٩٩٢ وبعدها (مركز أوريون لدراسة مخطوطات البحر الميت والأعمال ذات الصلة) فى الجامعة العبرية؛ والذى بدأ عمله بعقد مؤتمر سنوى سنة ١٩٩٦. وكانت مجلدات الأبحاث المقدمة فى تلك المؤتمرات تمثل المداخل الكبرى الأهم فى ببليوجرافية قمران لذلك العقد. وربما كان أهم من الصفحات المطبوعة أن تلك المؤتمرات خلقت فيلقًا من الباحثين الدوليين يربط فيما بينهم روابط العمل التعاونى والصداقة

الشخصية؛ وبين هؤلاء المشاركين كانت النصوص الجديدة والنظريات الجديدة تنتشر قبل طباعتها بعامين على الأقل.

وبعد العمومية التى اتسمت بها مجلدات سلسلة (اكتشافات من صحراء يهوذا) فإنه بعد المجلد السابع الصادر فى ١٩٨٢م أخذت المجلدات فى التخصص الدقيق ولم تعد السلسلة تجتذب إلا عددًا قليلًا من الناس خارج (نقدّ النصوص) و(علم اللغة). وعلى سبيل المثال «مخطوطة الأنبياء الأصاغر» سنة ١٩٩٠م المجلد الثامن، بالعبرية والمجلد التاسع الذى صدر ١٩٩٢ ويضم المخطوطات بالعبرية القديمة وكذلك باليونانية.

وفى ظل رئاسة تحرير إيمانويل توف بدأ تسارع إصدار المجلدات مع منتصف العقد الخامس فضم المجلد العاشر ١٩٩٤م أسفار الكتاب المقدس: الخروج حتى الأعداد، ثم مخطوطات الكتاب المقدس الأخرى أيضًا ١٩٩٤ من سفر التثنية إلى الملوك ١٩٩٥، والأنبياء ١٩٩٧ وثلاثة مجلدات من نصوص ما بعد الكتاب المقدس ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦. وكان أول نص من نصوص الحكمة ١٩٩٧ ثم النسخ الأربع من وثيقة دمشق العائدة من كهف ٤ سنة ١٩٩٦م وبعد ذلك ووجه الباحثون بمشكلة عدم توافر الوقت للاستمرار فى العمل وقراءة كافة النصوص المتاحة.

وبعد أن أصبحت النصوص المكتوبة متاحة أمام الباحثين والدارسين بدأت مطالب أخرى بنشر كل المواد الأثرية الأخرى التى أغلتها كهوف قمران. وفى سنة ١٩٨٧ وبمناسبة الاحتفال المئوى بالمدرسة شكلت (مدرسة دراسة الكتاب المقدس والآثار الفرنسية) فريقًا من الباحثين لإعداد التقرير القاطع والنهائى حول العمل الذى قام به فى خربة قمران رولاند دى فوكس فى الفترة ١٩٥١ ـ ١٩٥٦ والذى شمل القطع الفنية (الفخاريات، الزجاجيات، المسكوكات، المعدنيات، الحجريات، اللمبات...) إلى جانب نحو ٧٠ نقشًا قصيرًا على الفخار (الشقافة) وعلى الإرتواز؛ وكانت هناك أيضًا التقارير الميدانية اليومية. وكان المجلد الأول من صور هذه المواد قد صدر ١٩٩٤ وضم ٥٣٨ صورة فوتوغرافية ترجع إلى الخمسينيات ومعها

تعليقات دى فوكس الميدانية. وبطبيعة الحال أثار هذا النشر اهتمام الباحثين الأثريين ونتج عنه عشرات من النظريات الأثرية؛ التى كانت تتناقض أحيانًا، مثل تلك الدراسات والنظريات التى أثارتها النصوص المكتوبة. ولكن حتى اليوم لم تتوافر القرائن الأثرية الكلية التى تقطع الشك باليقين. وقد وضعت فروض كثيرة فى محاولة تفسير طبيعة المستوطنة القائمة فى قمران: فيللا فاخرة مقر للحاسمونيين تتحول بالتبعية إلى مركز لطائفة عقائدية لتقديم القربانات والتكريسات من جانب الإيسينيين وربما إلى مركز تجارى فيما بعد. وقد رأى الأثريون فى غالبيتهم رأى دى فوكس ودافعوا ونقحوا نظريته واستنتاجاته التى تقول بأن الملامح المميزة: المبانى الكبيرة شبكة المياه الواسعة، الجدران العالية... لا بد وأن تكون أطلال مستوطنة لطائفة دينية ذات حياة مجتمعية عامة.

السنوات ١٩٩٧ـ ٢٠٠٧م فى حياة المخطوطات

احتفل العالم طوال سنة ١٩٩٧ بالذكرى الخامسة لاكتشاف المخطوطات والقطع الأثرية، وكان احتفالًا مزدوجًا بالمخطوطات والقطع، وكان احتفالًا متعدد الجوانب. وكان الاحتفال إشارة بدء لاستكمال نشر بقية المخطوطات وقام إيمانويل توف باستقطاب المهارات والكفاءات والخبرات فى جميع جوانب العمل لتحقيق وإنتاج ونشر اللفافات ومن ثم استمر تدفق صدور المجلدات تباعًا وبتؤدة فى سلسلة (اكتشافات فى صحراء يهوذا): النصوص الشعائرية ١٩٩٨، ١٩٩٩. ثم مواد الكهف ١١ والتى كانت الأكاديمية الهولندية قد اشترتها (١٩٩٨) ثم نسخ الكهف ٤ من (دليل النظام) والنصوص ذات الصلة، ومخطوطة الحكمة الكبرى (١٩٩٩)، النصوص القانونية (١٩٩٩)، النصوص المكتوبة بالشفرة (٢٠٠٠م) ثم المزامير حتى الحوليات (٢٠٠٠)، النصوص الآرامية (٢٠٠١)، نصوص التقاويم (٢٠٠١)، نصوص أشباه الأنبياء (٢٠٠١م). وإلى جانب هذا كانت هناك القطع التى لم يتم التعرف عليها (٢٠٠١). وقد أعطى اهتمام خاص للقطع الصغيرة جدًا التى تضم حروفًا قليلة أو حروفًا مبتورة وكان كل مجلد يضم ما لا يقل عن اثنتى عشرة قطعة.

وفى سنة ٢٠٠١م كان اجتماع (جمعية دراسات الكتاب المقدس) فى دنفر كولورادو، وفى خلال هذا المؤتمر تم الاحتفال الرسمى باكتمال سلسلة (اكتشافات من صحراء يهوذا) تلك التى بدأت كما رأينا سنة ١٩٥٥ مع العلم بأنه كان هناك المجلدان الأخيران لم يكونا قد نشرا بعد أحدهما يضم القطع الآرامية والثانى يضم سفرى صموئيل ١-٢ وقد نشرا (٢٠٠٥م). وفى تلك السنة كان هناك ١١.٥٩٤ صفحة نصوص قد نشرت إلى جانب ١٣١٢ لوحة.

السنوات ٢٠٠٧- فى حياة المخطوطات

ركزت السنوات المنصرمة من العقد السابع من حياة مخطوطات قمران على نشر القطع الأثرية فى محاولة لتحقيق نفس القدر من النجاح الذى حققه نشر المخطوطات المكتوبة وكان المجلد الثانى من صور المواد الأثرية قد صدر سنة ٢٠٠٣م والذى ضم أيضا بقية كافة المواد الفخارية (الشقافة) المكتوبة والمواد الارتوازية المكتوبة، كما صدرت سلسلة دراسات فنية حول الفخار واستخدام كربون ١٤، والمنسوجات وحمامات الطقوس والبرك والقطع المعدنية.

وفى هذه الفترة دخلت الإنترنت والحاسبات الآلية لطرح المزيد من النصوص المكتوبة وصور القطع الأثرية ومن ثم أصبحت متاحة لدائرة واسعة عالميًا من الباحثين والدارسين والعلماء.

قائمة بأهم مخطوطات البحر الميت والمناطق المحيطة به

أولًا: نصوص من العهد القديم بالعبرية

أجزاء متفرقة من كافة أسفار الكتاب المقدس العبرى فيما عدا سفر [إيثر]. وبعض القطع صغيرة جدًا وبعضها كبير يحمل عدة أعمدة من النص. ومن بين النصوص التى أغلتها الكهوف:

سفر الخروج [كهف ٤]

سفر الأعداد [كهف ٤]

سفر تثنية الاشتراع [كهف ٤]

سفر عيسياه أ (كامل) [كهف ١]

سفر عيسياه ب (ناقص) [كهف ١]

سفر ليفتيكوس بخط عبرى قديم متأخر [كهف ١١]

قطع مهمة من أسفار صموئيل (كهف ٤) وعدة فصول من مقولات (تارجوم) أيوب (كهف ١١).

المزامير (كهف ١١).

والمخطوطات الأكثر نسخًا أو قطعًا من هذه الكهوف: سفر تثنية الاشتراع (٤١ مخطوطة) سفر عيسياه (١٢ مخطوطة)، المزامير (١٠ مخطوطات)، نسخ غير كاملة من سفر الأنبياء الأصاغر الاثنى عشر (٣ مخطوطات غير كاملة).

ثانيًا: قطع مخطوطات من الأسفار المزورة وشبه المزورة (أبو كريفا وسيديجرافيا).

سفر توبيت بالعبرية والآرامية

سفر إينوخ بالآرامية

سفر اليوبيل بالعبرية

سفر وعهد ليفى وسفر عهد نيفتالى بالآرامية

سفر أبو كريفا دانييل بالعبرية والآرامية

مزامير جوشوا

ثالثًا: الشروح والتعليقات

ليس من بينها شرح كامل وحيث عثر فقط على قطع متفاوتة منها ولعل أكبرها هو شرح حبقوق:

شرح سفر الخروج

شرح السفر الثانى من صموئيل

شرح المزمور ٣٧ و٦٨

شرح سفر عيساياه

شرح سفر ميكاه

شرح سفر ناحوم

شرح سفر حبقوق

شرح سفر هوس

مدراش على سفرموسى

رابعًا: مخطوطات خاصة بالطائفة

خارج الكتابات المقدسة (كهف ١)

تراتيل تقديم الشكر

مخطوطة الحرب

دليل النظام

أبو كريفا الخروج (بالآرامية)

خامسًا: متفرقات

مخطوطة ميثاق دمشق (المعروفة أيضًا بوثيقة زادوك) وهو نفس المخطوط الـذى عثر عليه فى جنيزة القاهرة.

ميثاق الحقبة المسيحية

البندكتيات.

المخطوطات النحاسية (كهف ٣).

وصف أورشليم الجديدة (كهف ٢)

سادسًا: قطع مخطوطة من العهد الجديد من خربة مرد

أ ـ باليونانية

مرقص

obeikandl.com

يوحنا

أعمال الرسل

ب ـ بالسورية ـ الفلسطينية

متى

لوقا

أعمال الرسل

شروح وتعليقات

سابعًا: قطع متعلقة بثورة كوخبا

رسالتان منه ورسالة إليه

* * *

ملحوظة: يقدر عدد القطع التى تم اكتشافها بنحو أربعين ألف قطعة إلى خمسين ألف قطعة.

ونقدم فيما يلى رموز أهم مخطوطات البحر الميت على نحو ما استعملناها داخل النص:

1 Q S = دليل النظام

1 Q A = تراتيل تقديم الشكر

1 Q M = مخطوطة الحرب

1 Q Is a = مخطوطة عيسياه الكاملة

1 Q pHab = شرح حبقوق

1 Q Apoc = أبوكريفا سفر الخروج

4 Q p Nah = شرح ناحوم

4 Q Sam = القطع الخاصة بسفرى صموئيل ١، ٢